اوراق معرفية

مجلة فصلية تعنى بالمعرفة الدينية والثقافية
العدد الأول/ السنة الأولى/ رجب ١٤٣٨ - نيسان ٢٠١٧

القراءات والأحرف السبعة — مرجع الطائفة السيد الخوئي قدس سره

أهمية العقل — آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم

الصغائر والكبائر — السيد محمد رضا السيستاني

الرباط المقدس — الشيخ حسين الحلي قدس سره

الألغاز — الشيخ محمد حسن آل ياسين

جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية تعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد الأول/السنة الأولى
رجب ١٤٣٨هـ-نيسان ٢٠١٧م

اوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

مدير التحرير

بدر العلي

سكرتير التحرير

حسن علي الجوادي

هيأة التحرير

حارث الداحي – موفق هاشم

مهند السهلاني – حسين علي الشامي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم

التصميم والإخراج الفني

محمد قاسم عرفات

المحتويات

١٠ القرآءات والأحرف السبعة
مرجع الطائفة السيد الخوئي (قدس سره)

١٤ مناهج التفسير
العلامة محمّد مهدي الآصفي

١٧ نزول القرآن..
العلامة الطباطبائي

٢٠ حكمة تنوع المعجز
الشيخ البلاغي

٢٢ أهمية العقل
آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم (دام ظله)

٢٨ العقيدة في النصوص القديمة
الشيخ الصدوق

٣٠ الجهاد والارهاب (الصورة والحقيقة)
الشيخ حسن علي الجوادي

٣٢ الشيعَة في نظَر الدكتور طهَ حُسين
الشيخ محمّد جواد مغنية

٣٦ الصغائر والكبائر
السيد محمّد رضا السيستاني

٤٢ الإسلام دين إلهي عالمي..
الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني

٤٥ تحديد معنى الظن
الشيخ إبن إدريس الحلي

٤٦ منزلة علم الحديث
السيد محمّد حسن البر وجردي

٤٨ الدين في ينابيعه الأولى
الشيخ محمّد أمين زين الدين

٥٢ مفكرة التاريخ
إعداد اوراق

٥٤ الإمام الحسين يهدي إلى الحق..
العلامة السيد علي الميلاني

٥٨ سياسة آل البيت عليهم السلام..
السيد زهير الاعرجي

٦٣ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني
إعداد اوراق

٦٥ يوم الشرف العلي..
إعداد اوراق

٧٠ الرباط المقدس
الشيخ حسين الحلي

٨٢ الألغاز
الشيخ محمّد حسن آل ياسين

٧١ علم النفس والاسلام
الدكتور محمود البستاني

٨٨ مجلة العلم
إعداد أوراق

٧٣ الزوجة المثالية
السيد مهدي الصدر

٩١ إقتران الشمس بالقمر
المهندس محمّد علي الصائغ

٧٤ فضائل الأخلاق ورذائلها
الشيخ محمّد مهدي النراقي

٩٠ سؤال وجواب
الشيخ محمّد اسحاق الفياض

٧٦ أسلوب النبي في تربية الطفل
الشيخ محمّد تقي الفلسفي

٩٤ بنت الخلود
السيد محمّد جمال الهاشمي

٧٧ قابلية النفس البشرية للتغير..
الاستاذ يوسف مدن

٩٥ جفِّفِيْ أَدمُعِي
السيد عبدالهادي الحكيم

الورقة الأولى...

ما أعظمها من أوراق تلك التي تحمل مداد علمائنا الابرار (قدس سرهم)، والتي تناولوا فيها مختلف العلوم والفنون، فأصلوا وبيّنوا وحلّلوا فيها كل شيء مفيد.. فتركوا لنا كنوزاً عظيمة وتراثاً ضخماً بأوراق جُمعت في كتب كبيرة وموسوعات ضخمة تجسد مسيرة علمية وفكرية قطعها جهابذة مذهب الحق، قاطعة قروناً طويلة من الزمن؛ لتستمر تلك المسيرة التي خطها رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار، حتى يظهر دين الحق على الدين كله كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [التوبة: ٣٣].

ومن المعلوم اليوم أن الغوص في أعماق هذا التراث الضخم لاستخراج دُرره صعب على البعض، لذا ارتأينا اظهار بعض تلك الدرر بصورة منسقة وجديدة، لنقدم للقارئ الكريم باقة فكرية منوعة ومفيدة تثري معلوماته وتربطه بتراثه الفكري والثقافي العظيم، وذلك من خلال جمع ما جاء من فوائد وفرائد وبحوث دونها علماؤنا الابرار من الماضين (قدس سرهم) في موسوعاتهم وكتبهم القيمة، وما كتبه المحدثون لا سيما في القضايا المعاصرة، ليُشم منها عبق الماضي بنكهة الحاضر.

سائلين المولى عز وجل أن يجعل من مشروعنا الفَتِيّ هذا سراجاً منيراً يُقتبس منه ما يُنير طريق الحق والاستقامة بحق محمد وآله الأطهار عليهم الصلاة والسلام.

القرآءات والأحرف السبعة

سماحة مرجع الطائفة السيد الخوئي (قدس سره)

نزول القرآن

العلامة الطباطبائي

مناهج التفسير

العلامة محمّد مهدي الآصفي

حكمة تنوع المعجز

الشيخ البلاغي

القراءات والأحرف السبعة

مرجع الطائفة السيد الخوئي قدس سره

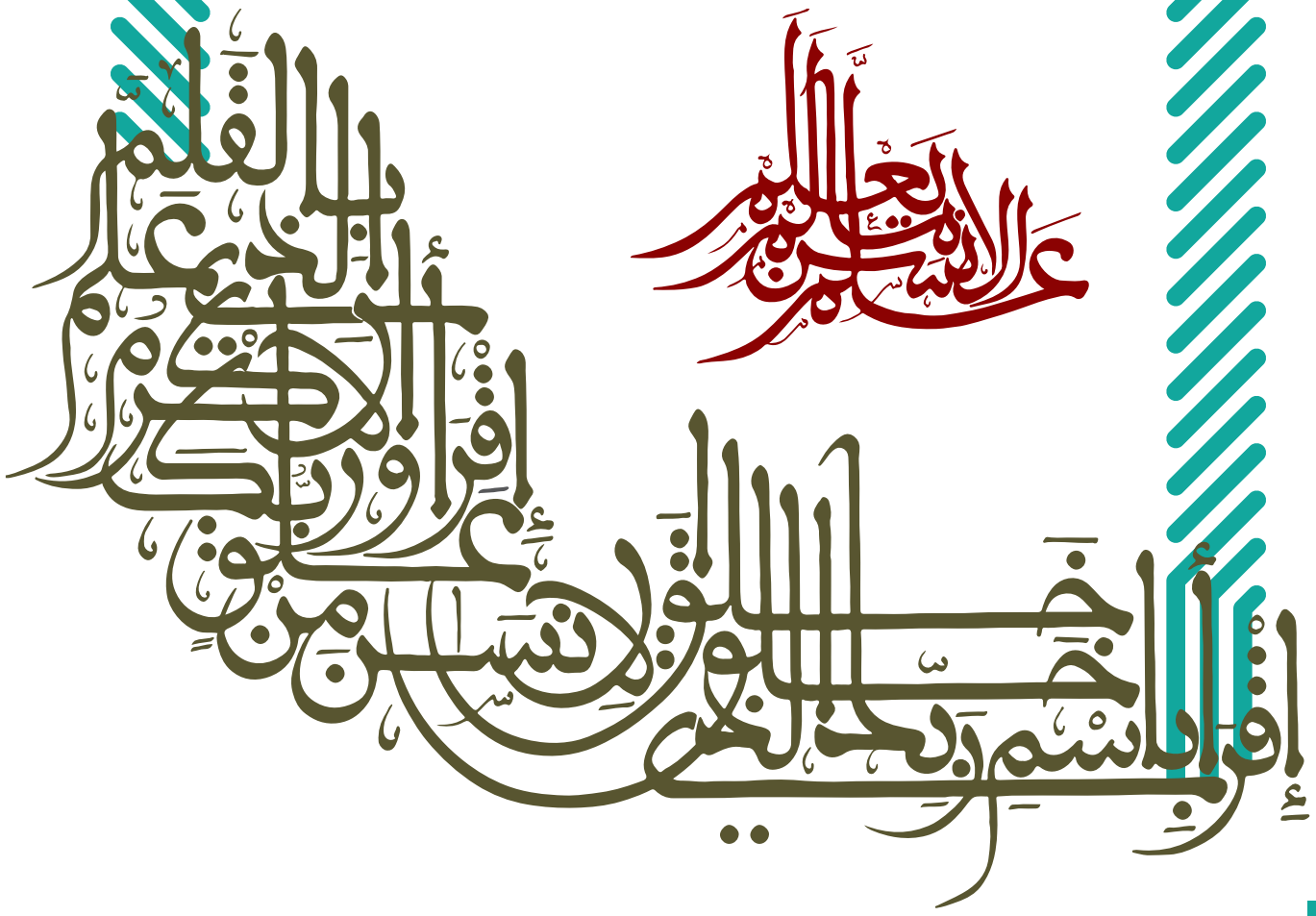

قد يتخيل أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي القراءات السبع، فيتمسك لإثبات كونها من القرآن بالروايات التي دلت على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا بد لنا أن ننبه على هذا الغلط، وان ذلك شيء لم يتوهمه أحد من العلماء المحققين. هذا إذا سلمنا ورود هذه الروايات، ولم نتعرض لها بقليل ولا كثير. وسيأتي الكلام على هذه الناحية.

والأولى أن نذكر كلام الجزائري في هذا الموضع. قال: «لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها، حتى قام الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد -وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد- فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقيين والشام، وهم: نافع، وعبد الله ابن كثير، وأبو عمرو إبن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعاصم وحمزة، وعلي الكسائي. وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، وليس الامر كذلك... وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الايهام... قال أحمد بن عمار المهدوي: لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الامر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة...».

وقال الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد القراب في الشافي: «التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، لم يكن قرأ بأكثر من السبع، فصنف كتابا، وسماه كتاب السبعة، فانتشر ذلك في العامة...».

وقال الإمام أبو محمد مكي: «قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدرا من هؤلاء السبعة... فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين، قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها -هذا تخلُّف عظيم- أكان ذلك بنص من النبيﷺ أم كيف ذلك!!! وكيف يكون ذلك؟ والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره -وكان السابع يعقوب الحضرمي- فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب»[1].

وقال الشرف المرسي: «وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها -الأحرف السبعة- القراءات السبع، وهو جهل قبيح»[2].

وقال القرطبي: «قال كثير من علمائنا كالداوودي، وابن أبي سفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع، التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت

(١) التبيان: ص ٨٢.

(٢) نفس المصدر: ص ٦١.

الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء»[٣].

وتعرض ابن الجزري لابطال توهُّم من زعم أن الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن مستمرة إلى اليوم، فقال:

«وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة، والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهورا في الاعصار الأول، قُلّ من كُثر، ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة، وغيرهم كانوا أُمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهلم جرا.

فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم-فيما أحسب-خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة ٢٢٤هـ وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، جمع كتابا في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد. وتوفي سنة ٢٥٨هـ وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما، منهم هؤلاء السبعة. توفي سنة ٢٨٢هـ وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتابا سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة. توفي سنة ٣١٠هـ وكان بعيده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، جمع كتابا في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة. وتوفي سنة ٣٢٤هـ، وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضا. وتوفي سنة ٣٢٤هـ».

ثم ذكر ابن الجزري جماعة ممن كتب في القراءة، فقال: «وإنما أطلنا هذا الفصل، لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبيﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في «الشاطبية والتيسير»، وأنها هي المشار إليها بقولهﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن

(٣) تفسير القرطبي: ج ١، ص ٤٦.

هـؤلاء السـبعة شـاذا، وربـما كان كثـير مما لم يكـن في «الشـاطبية والتيسـير»، وعـن غـير هـؤلاء السـبعة أصـح مـن كثـير مما فيهـما، وإنـما أوقـع هـؤلاء في الشـبهة كونهـم سـمعوا «أنـزل القـرآن عـلى سـبعة أحـرف» وسـمعوا قـراءات السـبعة فظنـوا أن هـذه السـبعة هـي تلـك المشـار إليهـا، ولذلـك كـره كثـير مـن الأئمـة المتقدمـين اقتصـار ابـن مجاهـد عـلى سـبعة مـن القـراء، وخطـؤوه في ذلـك، وقالـوا: ألا اقتـصر عـلى دون هـذا العـدد أو زاده، أو بـين مـراده ليخلـص مـن لا يعلـم مـن هـذه الشـبهة، ثـم نقـل ابـن الجـزري -بعـد ذلـك- عن ابـن عـمار المهدوي، وأبي محمـد مكـي مـا تقـدم نقلـه عنهـما آنفـا»[٤].

قـال أبـو شـامة: «ظـن قـوم أن القـراءات السـبع الموجـودة الآن هـي التـي أريـدت في الحديـث، وهـو خـلاف إجماع أهـل العلـم قاطبـة، وإنـما يظـن ذلـك بعـض أهـل الجهـل»[٥].

وبهـذا الاسـتعراض قـد اسـتبان للقـارئ، وظهـر لـه ظهـورا تامـا أن القـراءات ليسـت متواتـرة عـن النبـي ﷺ ولا عـن القـراء أنفسـهم، مـن غـير فـرق بـين السـبع وغيرهـا، ولـو سـلمنا تواترهـا عـن القـراء فهـي ليسـت متواتـرة عـن النبـي ﷺ قطعـا. فالقـراءات إمـا أن تكـون منقولـة بالآحـاد، وإمـا أن تكـون اجتهـادات مـن القـراء أنفسـهم.

[التبيان في تفسير القرآن]

(٤) النشر في القراءات العشر: ج ١، ص ٣٣-٣٧.

(٥) الاتقان: ج ١، ص ١٣٨.

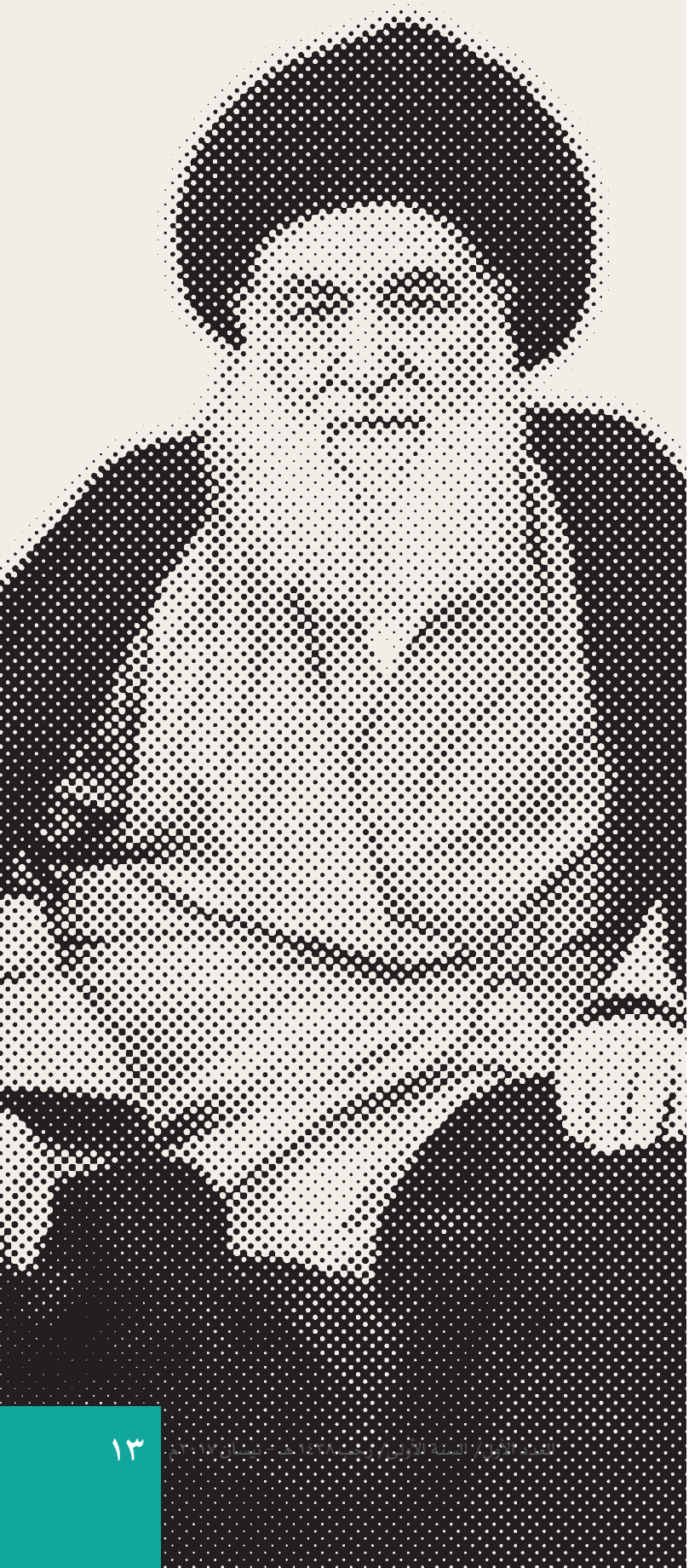

مناهج التفسير

الشيخ محمد مهدي الآصفي

١. **التفسير بالرأي:**

كان الأوائل من المسلمين في عصر الصحابة والتابعين يتحرجون من تفسير القرآن بالرأي، ونقصد بالرأي، الرأي الممدوح لا الرأي المذموم، كما يصطلح على ذلك علماء القرآن ويروون عن رسول الله ﷺ في شجب تفسير القرآن بالرأي: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[١]، وعن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٢].

وكان الصحابة يتحرجون أبلغ الحرج أن يقولوا في القرآن شيئا غير ما رووه عن رسول الله ﷺ، فكان عبيد الله بن عمر يقول: «لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير»، وكذلك التابعون لهم، كانوا يتحرجون من الكلام في التفسير بالرأي، فكان أبو وائل شقيق بن سلمة إذا سئل عن شيء من القرآن قال: «قد أصاب الله الذي به أراد». ويمتنع عن الإجابة برأيه في القرآن، وسئل سعيد إبن جبير أن يفسر شيئاً من القرآن، فقال: «لئن تقع جوانبي خير من ذلك»، وعن الوليد بن مسلم قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبدالله فسأله عن آية من القرآن، فقال: «احرج عليك إن كنت مسلما لما قمت عني»، وكان سعيد بن المسيب إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: «إنا لا نقول في القرآن شيئا»، وعن عمرو بن مرة قال: سأل رجل سعيد

(١) مسند أحمد: ج ١، ٢٣٣ و٢٦٩ - تفسير الطبري: ج ١، ٢٧.

(٢) سنن الترمذي: ٥، ٢٠٠ - تفسير ابن كثير: ١، ٥.

بن المسيب عن آية من القرآن فقال: «لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء!! يعني عكرمة». وعن يزيد بن أبي يزيد، قال: «كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأنه لم يسمع»، وعن هشام بن عروة، قال: «ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط»، وعن هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: «كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه»[٣].

وكان ابن عباس أول من تكلم في القرآن من خلال اللغة، فكان يفسر آي القرآن الكريم من خلال معرفته باللغة والشعر، وكان يقول: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[٤]. وأسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس في غريب القرآن وأجوبة ابن عباس له من خلال شعر العرب معروفة يرويها السيوطي في (الإتقان)[٥].

ومما ورد في هذه الأسئلة أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن قول الله ﷻ: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[٦] ما السنة؟، قال ابن عباس: «النعاس» واستشهد بقول زهير: لا سنة في طوال الليل تأخذه ولا ينام ولا في أمره فند[٧].

(٣) تفسير ابن كثير: ١، ٧.

(٤) تفسير القرطبي: ١، ٢٤.

(٥) الإتقان: ٢، ٦٧.

(٦) البقرة: ٢، ٢٥٥.

(٧) تفسير القرطبي: ١، ٢٥.

لكنَّ عبدالله بن عباس رغم ذلك لم يتجاوز هذا الحد من التفسير من خلال اللغة وشعر العرب، وبقي الصحابة ومن بعدهم التابعون ومن بعدهم علماء القرآن إلى أواسط القرن الرابع الهجري يلتزمون بمنهج التفسير بالمأثور، وقل من خرج على هذا النهج خلال هذه الفترة، وبقي المنهج السائد في تفسير القرآن هو التفسير بالمأثور.

وفي وقت متأخر، في أواخر القرن الرابع الهجري يبدأ العلماء باستخدام الرأي في التفسير، وتبرز تفاسير حافلة بالرأي، ويستمر هذا الرأي في النضج والتكامل إلى الوقت الحاضر.

ويذهب هؤلاء العلماء إلى أن الذي يشجبه الإسلام من التفسير بالرأي هو الرأي المذموم، وهو القول في القرآن بغير علم ولا هدى، وأما الكلام في القرآن بعلم ودليل وبرهان، فليس من الرأي المذموم، وإنما هو من الرأي الممدوح الذي لا ضير فيه.

يقول ابن كثير في أول تفسيره بعد أن يذكر طائفة من الروايات عمن كان يتهيب ويتحرج من التفسير بالرأي: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم ذلك من لغة وشرع فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه»[٨]، وقال البيهقي في (شعب الإيمان): «هذا إن صح فإنما أراد (والله أعلم)

(٨) تفسير ابن كثير: ١، ٧.

الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يسنده برهان فالحكم به في النوازل جائز»[٩].

ومهما يكن من أمر فقد نشط التفسير بالرأي بالمعنى السليم للرأي في العالم الإسلامي منذ هذا التاريخ، من دون إنكار تقريبا من قبل جمهور علماء المسلمين، واتسعت حركة التفسير بالرأي، وساهم في هذه الحركة كل المذاهب الفكرية الإسلامية تقريبا، وأبرز هذه المذاهب: الإمامية، والأشاعرة، والمعتزلة.

وقد ألَّف الشيخ الطوسي، وهو من أبرز فقهاء الإمامية، (تفسير التبيان) بهذا الاتجاه، وألَّف فخر الدين الرازي من الأشاعرة (التفسير الكبير) بهذا الاتجاه أيضا، كما ألَّف جار الله الزمخشري من المعتزلة (تفسير الكشاف) في نفس الاتجاه.

وأصبح التفسير بالرأي مقبولا من قبل الجميع، ولكن الرأي الذي يسنده الدليل والبرهان القطعي، أما الرأي الذي لا يسنده دليل وبرهان، ويعتمد الظن فلا يغني عن الحق شيئاً.

على أن التفسير بالرأي يجب ألا يتجاوز حدود محكمات القرآن، أما متشابه القرآن فلا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، ولا يصح أن يعتمد المفسر رأيه في تفسير متشابهات القرآن، ولسنا الآن بصدد تفصيل وشرح هذه النقطة.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ٢، ١٧٩.

٢. التفسير بالمأثور:

أن التفسير بالمأثور كمنهج علمي ومدرسة في تفسير القرآن، في مقابل التفسير بالرأي، لم يعد له وجود فعلي ومؤثر في الوقت الحاضر. فقد أصبح تفسير القرآن بالرأي هو المنهج السائد.

ولكن يبقى «الحديث» هو المصدر الأول بعد القرآن في تفسير القرآن، ولا يستغني المفسر عن «الحديث» في تفسير القرآن، فلا رأي في مقابل «الحديث»، ولا رأي في عرض الحديث، وإنما يصح الرأي إذا كان لا يعارض الحديث، ولا بد إذن أن يتأكد المفسر من الروايات الواردة في تفسير الآية، قبل أن يمارس هو فيها الرأي والنظر والاجتهاد.

ولذلك فإن الاهتمام بالروايات الواردة في تفسير القرآن يعتبر من مقومات الجهد العلمي في تفسير القرآن، ومن هنا اهتم نفر من العلماء المتخصصين في القرآن بتجميع وتنظيم الروايات الواردة في تفسير القرآن لتيسير مهمة مفسري القرآن.

فمن تفاسير أهل السنة في هذا الحقل:

١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
٢. تفسير ابن كثير.
٣. تفسير البغوي.

ومن تفاسير الشيعة:

١. تفسير العياشي.
٢. تفسير نور الثقلين.
٣. تفسير البرهان.

[مقدمة تفسير البرهان]

نزول القرآن..

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

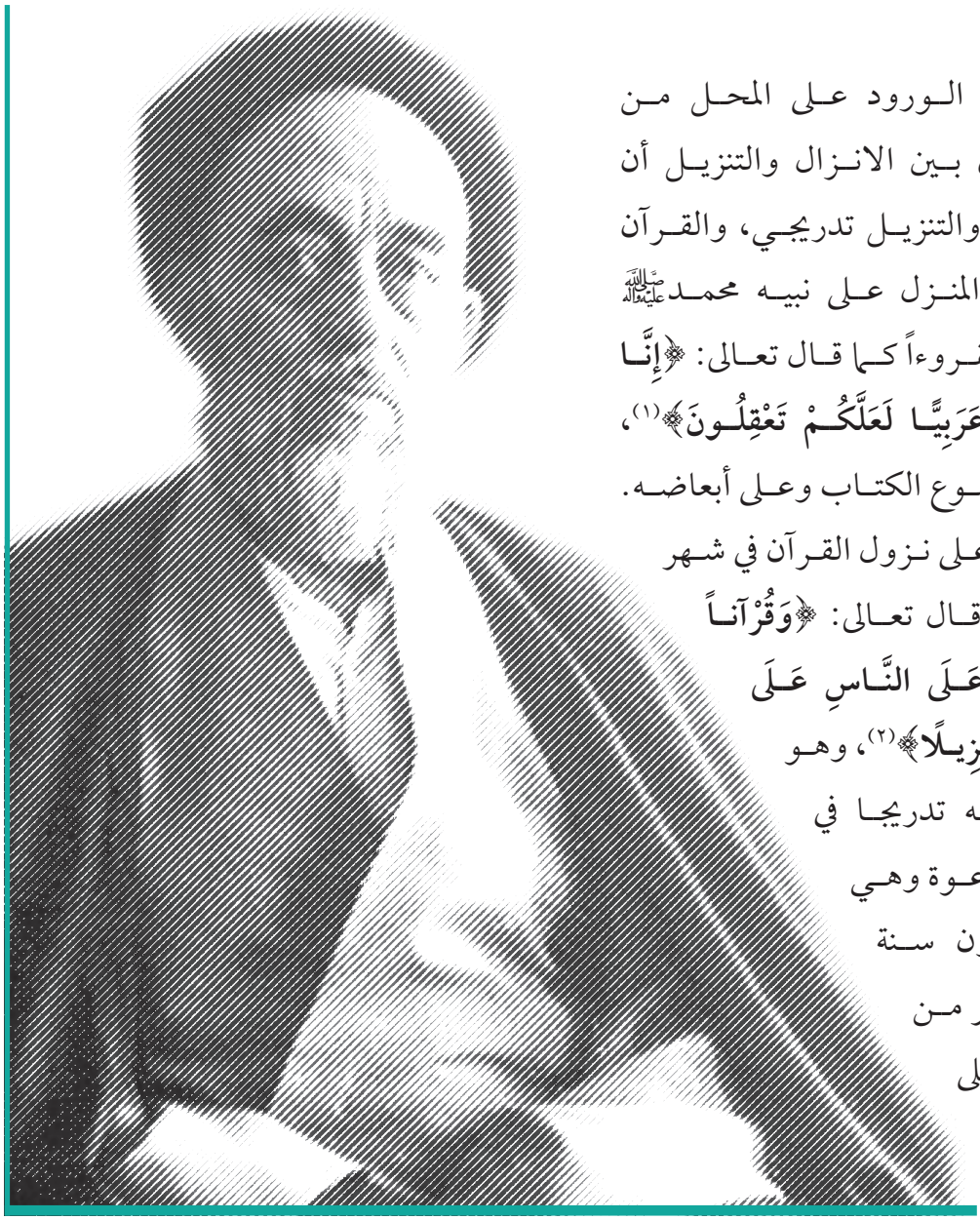

النزول هو الورود على المحل من العلو، والفرق بين الانزال والتنزيل أن الانزال دفعي والتنزيل تدريجي، والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله باعتبار كونه مقروءاً كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1]، ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه.

والآية تدل على نزول القرآن في شهر رمضان، وقد قال تعالى: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾[2]، وهو ظاهر في نزوله تدريجا في مجموع مدة الدعوة وهي ثلاث وعشرون سنة تقريبا، والمتواتر من التاريخ يدل على

(١) الزخرف: ٣.

(٢) الإسراء: ١٠٦.

ذلك، ولذلك ربما استُشكل عليه بالتنافي بين الآيتين.

وربما أجيب عنه: بأنه نزل دفعة على سماء الدنيا في شهر رمضان ثم نزل على رسول الله ﷺ نجوما وعلى مكث في مدة ثلاث وعشرين سنة -مجموع مدة الدعوة- وهذا جواب مأخوذ من الروايات التي سننقل بعضها في البحث عن الروايات.

وقد أورد عليه: بأن تعقيب قوله تعالى: ﴿**أنزل فيه القرآن**﴾ بقوله: ﴿**هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾، لا يساعد على ذلك إذ لا معنى لبقائه على وصف الهداية والفرقان في السماء مدة سنين.

وأجيب: بأن كونه هاديا من شأنه أن يهدي من يحتاج إلى هدايته من الضلال وفارقا إذا التبس حق بباطل لا ينافي بقاءه مدة على حال الشأنية من غير فعلية التأثير حتى يحل أجله ويحين حينه، ولهذا نظائر وأمثال في القوانين المدنية المنتظمة التي كلما حان حين مادة من موادها أجريت وخرجت من القوة إلى الفعل.

والحق ان حكم القوانين والدساتير غير حكم الخطابات التي لا يستقيم ان تتقدم على مقام التخاطب ولو زمانا يسيرا، وفي القرآن آيات كثيرة من هذا القبيل كقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهَ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[٥]، على أن في القرآن ناسخا ومنسوخا، ولا معنى لاجتماعهما في زمان بحسب النزول.

وربما أجيب عن الاشكال: أن المراد من نزول القرآن في شهر رمضان أن أول ما نزل منه نزل فيه، ويرد عليه: أن المشهور عندهم أن النبي ﷺ إنما بعث بالقرآن، وقد بعث اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وبينه وبين رمضان أكثر من ثلاثين يوماً وكيف يخلو البعثة في هذه المدة من نزول القرآن، على أن أول سورة ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾، يشهد على أنها أول سورة نزلت وأنها نزلت بمصاحبة البعثة، وكذا سورة المدَّثِّر تشهد أنها نزلت في أول الدعوة وكيف كان فمن المستبعد جدا أن تكون، أول آية نزلت في شهر رمضان، على أن قوله تعالى: ﴿**أنزل فيه القرآن**﴾، غير صريح الدلالة على أن المراد بالقرآن أول نازل منه

(٣) المجادلة: ١.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) الأحزاب: ٢٣.

ولا قرينة تدل عليه في الكلام فحمله عليه تفسير من غير دليل، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(٦)، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٧)، فإن ظاهر هذه الآيات لا يلائم كون المراد من إنزال القرآن أول إنزاله أو إنزال أول بعض من أبعاضه ولا قرينة في الكلام تدل على ذلك.

والذي يعطيه التدبر في آيات الكتاب أمر آخر فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه إنما عبرت عن ذلك بلفظ الانزال الدال على الدفعة دون التنزيل كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾(٨) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، واعتبار الدفعة أما بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه كقوله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾(٩)، فإن المطر إنما ينزل تدريجا لكن النظر هيهنا معطوف إلى اخذه مجموعا واحدا، ولذلك عبر عنه بالإنزال دون التنزيل، وكقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾(١٠)، وإما لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفرق والتفصيل والانبساط والتدريج هو المصحح لكونه واحدا غير تدريجي ونازلا بالإنزال دون التنزيل.. وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١١)، فإن هذا الاحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلا فصلا وقطعة قطعة، فالأحكام كونه بحيث لا يتفصل فيه جزء من جزء ولا يتميز بعض من بعض لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء ولا فصول فيه، والآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنما طرئ عليه بعد كونه محكما غير مفصَّلٍ.

[تفسير الميزان]

(٦) الدخان: ٢، ٣.

(٧) القدر: ١.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) يونس: ٢٤.

(١٠) ص: ٢٩.

(١١) هود: ١.

حكمة تنوع المعجز

الشيخ محمد جواد البلاغي

لا يخفى أنّ حصول الفائدة من تنوّع المعجز المذكور يختلف كثيرا بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم. فربّ خارق للعادة يعرفه بعض الشعوب انه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلهية خاصة ويكون في بعض الشعوب معرضا للشك او الجحود لإعجازه وخرقه للعادة، كان في عصر موسى النبي عليه السلام من الرائج بين المصريين صناعة السحر المبتنية على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلّم، فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية، ولأجل ذلك اقتضت الحكمة ان يحتج عليهم بمعجزة العصا التي ألقاها موسى عليه السلام أمام أعينهم فصارت ثعبانا تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس من الحبال والعصي ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا اثر، فإنهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن امر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية، ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى، وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان وفيها منهم نزلاء كثيرون. فكان للطبّ فيها رواج ظاهر وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع والبرص والقوبا بنحو يختص بروحانية الكهنوت ويوهم انه من بركات الكهنة والآثار الرّوحية، وإن كان من نحو الحجر الصحي، فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والأعمى والأكمه مما يعرفون انه خارج عن حدود الطب ومزاعم الكهنة وقدرة البشر ومن خارق العادة التي لا يكون إلا بقدرة الله تعالى.

[تفسير آلاء الرحمن]

أهمية العقل

آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم دام ظله

الجهاد والإرهاب

إعداد أوراق

العقيدة في النصوص القديمة

الشيخ الصدوق

الشيعَة في نظَر الدكتور طهَ حُسين

الشيخ محمّد جواد مغنية

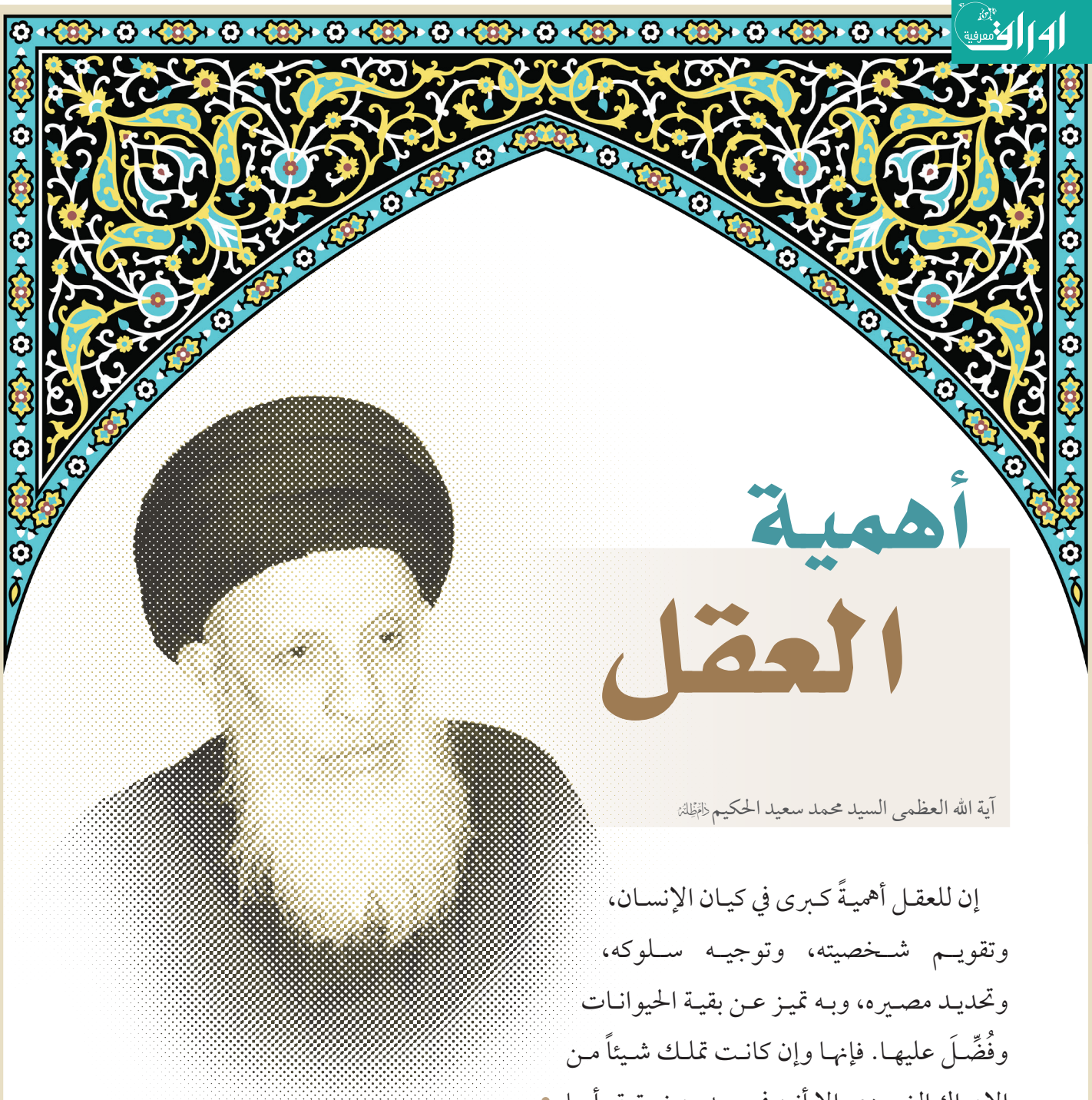

أهمية العقل

آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

إن للعقل أهميةً كبرى في كيان الإنسان، وتقويم شخصيته، وتوجيه سلوكه، وتحديد مصيره، وبه تميز عن بقية الحيوانات وفُضِّلَ عليها. فإنها وإن كانت تملك شيئاً من الإدراك الغريزي إلا أنه في حدود ضيقة، أما الإنسان فهو يستطيع بعقله تمييز الأشياء، ومقارنة بعضها ببعض، ثم الترجيح بينها، واستحصال النتائج من مقدماته، وتحديد الضوابط التي ينبغي الجري عليها، مع سعة أفق وانفتاح على الواقع، قد يقطع به ذوو الهمم العالية شوطاً بعيداً في التقدم، ويرتفعون به إلى مراتب سامية من الرقي والكمال.

أهمية العقل في الكتاب والسنة

ولذلك أكد القرآن المجيد على العقل في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو**

الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3] وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[4]... إلى غير ذلك.

كما أكدت على ذلك السنّة الشريفة في أحاديث كثيرة لا تحصى عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من آله عليهم السلام، وبصيغ مختلفة في عرض ذلك. فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»، وعنه صلى الله عليه وآله: «ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل... ولا بعث الله رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول جميع أمته...». وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل»، وقال عليه السلام في حديث: «من كمل عقله حسن عمله»[5]. وفي حديث هشام بن الحكم قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة...»[6]. إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

إخفاق العقل في القيام بوظيفته

نعم، قد يفقد العقل فاعليته، أو يتعثر في طريقه، نتيجة تقصير الإنسان وتفريطه، إما إهمالاً وتسامح، لعدم شعوره بالمسؤولية، أو لتغلب عوامل ومؤثرات أخرى عليه، من كسل، أو ضجر، أو شهوة، أو غضب، أو تعصُّب، أو تقليد أو غير ذلك مما يقف في طريق العقل ويمنعه من أداء وظيفته.

فمثلاً: من أهم الأمور الدنيوية التي يحبها الإنسان ويهتم بها صحته البدنية، التي بها قوام حياته وبقاؤه في هذه الدنيا. ومع ذلك نرى الناس مع اشتراكهم في حبها والاهتمام بها مختلفين في رعايتها والحفاظ عليها.

فمنهم من يبذل وسعه ويجهد جهده في ذلك، بالوسائل العقلائية الميسورة، مهما كلفه ذلك من تعب ونصب وقيود والتزامات. فيبحث عن أفضل الأطباء وأحذقهم، ويلتزم بتوجيهات الطبيب ونظامه العلاجي غير مبال بمتاعب ذلك ومصاعبه، كل ذلك من أجل اهتمامه بصحته وحبه للحياة.

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) آل عمران: ١١٨.

(٣) آل عمران: ١٩٠.

(٤) طه: ٥٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ١/ ص ٩٤، ٩١، ٩٥، ٨٧ على الترتيب.

(٦) الكافي: ج ١ / ص ١٣.

بينما نرى آخرين لا يراعون ذلك، لا لعدم حبهم للصحة والحياة، بل إما لتغلب روح الإهمال واللامبالاة عليهم، أو لاقتصارهم في العلاج على الطرق التقليدية الموروثة، جموداً عليه، أو كسلاً عن الفحص عن الأصلح، من دون مراعاة للطرق العقلائية في اختيار الطبيب المعالج وكيفية العلاج، أو لتعصبهم ضدّ الطبيب الأفضل بنحو يصعب عليهم الاعتراف له بالفضيلة، أو لضيقهم من التقيّد بالدواء ومواعيده، أو من بعض الالتزامات الأخرى التي يفرضها الطبيب عليهم، أو لغلبة شهوتهم لما يمنعهم الطبيب عنه ويحميهم منه من طعام أو شراب وغيرهما... إلى غير ذلك مما يأباه العقل السليم، ويستهجنه العقلاء بفطرتهم.

وليس ذلك لفقدهم القوة العاقلة، بل لعدم فاعلية العقل فيهم نتيجة ما سبق، حتى يتجمد أو يُغلَب. فهم يدركون ضرر سلوكهم وكأنهم لا يدركونه، ويملكون العقل وكأنهم يفقدونه.

العقل منشأ المسؤولية دائم

ولا يخون من عقلهم إلا تحمل المسؤولية واللوم والتقريع، ثم الندم عند الوصول للنهاية المرة حين لا ينفع الندم، وكلما كان الضرر أكبر وأفظع كان اللوم والتقريع والندم أشدّ وأعظم، ولو أنهم فقدوا العقل حقيقة لكان خيراً لهم، حيث لا مسؤولية، ولا لوم، ولا تقريع، ولا ندم. وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا». وفي حديث حمدان عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله»[٧].

وفي حديث عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟: «فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما [كليهم. علل الشرائع]. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم»[٨].

وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[٩]، وحين يقول: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[١٠]... إلى غير ذلك.

---

(٧) بحار الأنوار: ج ١/ ص ٩٦، وص ٨٧.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١١/ ص ١٦٤/ ح ٢.

(٩) الأنفال: ٢٢.

(١٠) الأعراف: ١٧٩.

ضرورة استغلال العقل

فعلى الإنسان أن يعرف عظمة هذه النعمة التي فضل بها وارتفع عن حضيض الحيوانية، ويستغلها لصلاحه وسعادته، في جميع أموره وشؤونه المتعلقة به، والدخيلة في سعادته وشقائه وخيره وشرّه، ويربأ بنفسه عن التخلي عنها والهبوط إلى مستوى الحيوان أو ما دونه، ثم يزيد عليه بتحمل التبعة والتقريع واللوم، ثم الندم حيث لا يغني ولا ينفع.

ضرورة إعمال العقل في أمر الدين

هذا وبعد أن اتضحت أهمية العقل، فحيث كان الدين من أهمّ شؤون الإنسان التي يمر بها تقرير مصيره في سعادته وشقائه وخيره وشرّه في دنياه وآخرته، كان أفضل عون له في أمره عقله، فهو الطريق الأول له، وبه تقوم حجته ويصل إليه، ولذا سبق التأكيد عليه في الكتاب المجيد والسنّة الشريفة.

وفي حديث هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام. وأما الباطنة فالعقول». وفي حديث عبدالله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال: حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل»[11].

(١١) الكافي: ج ١/ ص ١٦، وص ٢٥.

والظاهر أن مراده عليه السلام أن الأنبياء عليهم السلام تختص حجتهم بوظيفتهم، وهي التبليغ عن الله تعالى، أما العقل فهو الحجة في الأمور الباقية، من إثبات وجود الله عز وجل، وحاكميته، ووجوب طاعته، وإرساله الأنبياء، وصدقهم في دعوى الرسالة من قبله تعالى، وغير ذلك مما يكون مورداً للحساب والمسؤولية بينه وبين عباده، فهو الدعامة الكبرى، والقطب الذي عليه المدار، وإليه ترجع الأمور.

وقد سبق الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «أنه لا دين لمن لا عقل له». ويتجلى ذلك في العرض الحقيقي أو التمثيلي-الذي تضمنه حديث محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب. أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب»، وحديث الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال: هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث، فاخترها، ودع اثنتين. فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: إني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل

حيث كان، قال: فشأنكما وعرج»[١٢].

تحديد المراد من العقل

ولا نريد بالعقل الاستدلالات العقلية المعقدة المبنية على مقدمات برهانية دقيقة، تحتاج إلى خبرة عالية يفقدها الكثيرون، بل العقل الجلي، بالرجوع للمرتكزات الوجدانية التي أودعها الله تعالى في الإنسان بفطرته، والتي بها تحديد الحق من الباطل، وتحديد مدلول الكلام وما تقتضيه مناسبات المقام، والتي هي المدار في العذر والمسؤولية عند عامّة العقلاء، والتي يكون الخروج عنها مخالفة للوجدان حسبما يدركه الإنسان لو خلي وطبعه، حيث يستطيع بسببها كل إنسان كامل الإدراك يهمه الوصول للحق استيضاح الحقيقة وتمييز الأدلة الصالحة للاستدلال عليها من أقصر الطرق وأيسرها، وأبعدها عن الخط.

ولاسيما أن الله تعالى حينما جعل دينه وشرعه قد فرضه على الناس عامّة، وألزمهم به، فلابد من وضوح حجته بحيث يدركها الكل، وذلك لا يكون إلا بالرجوع للطريق المذكور، الذي يملكه الكل، ويتيسر لهم الرجوع إليه والاستعانة به على معرفة الحقيقة. دون الاستدلالات العقلية المعقدة التي لا يقدر عليها إلا الخاصّة بعد جهد جهيد، وتارة: يوفقون فيها ويسددون، وأخرى: يخطئون فيها ويضلون، لخطأ المقدمات التي اعتمدوها، أو قصورها عن إفادة النتائج التي استنتجوها منه.

نعم، لا بأس بالاستظهار لمعرفة الحقيقة وتأكيد الحجة الواضحة عليها بالاستدلالات العقلية المعقدة التي لا يقوى عليها إلا ذوو المقام الرفيع في المعرفة والتحقيق.

لكن يلزم التثبت والتروي والحذر الشديد من مصادمتها للوجدان والخروج بها عنه، فإن من يعتمد تلك الاستدلالات ويألفها قد يعتز بها ويتفاعل معها حتى لو صادمت الوجدان وخالفت المرتكزات العامّة التي أودعها الله تعالى في الإنسان، وبها يحتج عليه، وهو خطأ فادح لا يصلح عذراً بمقتضى الفطرة السليمة التي عليها المدار في استحقاق المدح والثواب، واللوم والعقاب.

والحقيقة أنه لابد من التوافق بين العقل الوجداني والبرهان العقلي مهما تعقد، أما لو اصطدم البرهان بالوجدان وخرج عن مقتضاه فلابد من التوفيق بينهم، وكثيراً ما يتيسر ذلك للناقد المتبصر، ولو تعذر التوفيق بينهما تعين الإعراض عن البرهان، لكونه شبهة في مقابل البديهة، ومرجع ذلك للعلم بخلل في الاستدلال، وقصور في بعض مقدماته إجمال، وإن تعذر تمييزه تفصيلاً.

وضوح حجة الله تعالى على دينه الحق

وعلى كل حال مازلنا نؤكد بإصرار أن حجة

(١٢) الكافي: ج ١/ ص١٠.

الله تعالى هي الحجة الواضحة، وأنه لم يفرض دينه على عباده حتى أوصله إليهم بأدلة وافية تنتهي بالآخرة إلى الضرورات والوجدانيات الفطرية التي من تبصر بها ورعاها وصل للحقيقة، وأن من لم يصل إلى الحقيقة من ذوي الإدراك الكامل لابد أن يكون مفرطاً في ذلك، ومغرراً بنفسه، بنحو يأباه العقل السليم ويستهجنه، ولا يرى له فيه عذر. ومن ثم سبق منّا أهمية العقل في الدين، ولزوم متابعته فيه.

أسباب اختلاف الناس في أديانهم

وهنا قد يتساءل البعض عن سرّ اختلاف الناس في أديانهم هذا الاختلاف الشاسع، وأن هذا كيف يجتمع مع قوة أدلة الدين الحق، ووضوح حجته وبرهانه؟!

وإذا كان بعض الناس يتعمد مخالفة الحق الواضح عناداً، أو لمصالح مادية، فإن أكثر الناس ليسوا كذلك، بل يتبنى كل فريق دينه وعقيدته عن قناعة وإخلاص، ويعمل عليه ويسعى في ترويجه، ويدافع عنه بإصرار قد يبلغ حد التضحية بكل غالٍ ونفيس، وما ذلك إلا لخفاء الحق عليه.

ولذا قد يذهب الذاهب إلى أن الحق ليس بذلك الوضوح، وأن كل صاحب دين وعقيدة معذور فيما يعتقد، إلا من تعمّد مخالفة الحق مع وضوحه عنده، عناداً، أو لمصالح مادية أو غير ذلك، كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[13]. وهم أقل القليل.

وجواب ذلك: أن كثرة الخلاف في الحق لا تنافي وضوحه، لا بمعنى وضوحه للمخالف فيه، بل بمعنى وضوحه في حدّ نفسه، بحيث لو أراد الإنسان الفحص عنه بالطرق العقلائية والنظر في أدلته، وتحكيم الوجدان فيه، لوصل إليه، وإنما لم يستوضحه المخالف لتفريطه في أمره، إما لعدم اهتمامه بالبحث والفحص، أو لوجود المانع عنده من الاستجابة للأدلة من مصالح مادية، أو تعصب، أو تقليد أعمى، أو غير ذلك مما يفقد الإنسان به رشده، ويعطل عقله، ويخرج بسببه عن الطرق العقلائية المعول عليها عنده وعند جميع العقلاء في عامّة الأمور، ومن أجل ذلك لا يكون معذوراً بين يدي الله تعالى، الذي فرض الحق، وأوضح حجته.

[أصول العقيدة]

(١٣) البقرة: ٢١٣.

العقيدة في النصوص القديمة

التوحيد..

الشيخ الصدوق

اعلم أنّ اعتقادنا في التوحيد أنّ الله تعالى واحد، أحد، ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، سميعاً بصيراً، عليماً، حكيماً، حياً، قيّوماً، عزيزاً، قدوساً، قادراً، غنياً. لا يوصف بجوهر، ولا جسم ولا صورة، ولا عرض، ولا خط ولا سطح، ولا ثقل ولا خفة، ولا سكون، ولا حركة، ولا مكان، ولا زمان.

وأنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج من الحدّين: (حدّ الإبطال وحد التشبيه)، وأنّه تعالى شيء لا كالأشياء، أحد، صمد لم يلد فيورَث، ولم يولد فيشارَك، ولم يكن له كفواً أحد ولا نداً ولا ضداً ولا شبهاً ولا صاحبة، ولا مثلاً، ولا نظيراً، ولا شريكاً. لا تدركه الأبصار والأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو اللطيف الخبير خالق كل شيء، لا إله إلا هو له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين.

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب.

وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد في كتاب علمائنا فهو مدلّس، والأخبار التي يتوهّمها الجهّال تشبيهاً لله تعالى بخلقه، فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها، لأنّ في القرآن: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1] ومعنى الوجه: الدين و[الدين هو] الوجه الذي يؤتى الله منه، ويتوجّه به إليه.

وفي القرآن: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ**

(١) القصص: ٨٨.

﴿إِلَى السُّجُودِ﴾[٢] والساق: وجه الأمر وشدّته.

وفي القرآن: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[٣] والجنب: الطاعة.

وفي القرآن: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[٤] والروح هي روح مخلوقة جعل الله منها في آدم وعيسى عليهما السلام وإنّما قال روحي كما قال بيتي وعبدي وجنّتي وناري وسمائي وأرضي.

وفي القرآن: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٥] يعني نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

وفي القرآن: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[٦] والأيد: القوة ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾[٧] يعني ذا القوة.

وفي القرآن: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٨] يعني بقدرتي وقوتي.

وفي القرآن: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٩] يعني ملكه، لا يملكها معه أحد.

وفي القرآن: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[١٠] يعني بقدرته.

وفي القرآن: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١١] يعني وجاء أمر ربّك، وفي القرآن: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[١٢] يعني عن ثواب ربّهم.

وفي القرآن: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[١٣] أي عذاب الله.

وفي القرآن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١٤] يعني مشرقة تنظر ثواب ربّها.

وفي القرآن: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[١٥] وغضب الله عقابه.

[الإعتقادات]

(٢) القلم: ٤٢.

(٣) الزمر: ٥٦.

(٤) الحجر: ٢٩.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) الذاريات: ٤٧.

(٧) ص: ١٧.

(٨) ص: ٧٥.

(٩) الزمر: ٦٧.

(١٠) الزمر: ٦٧.

(١١) الفجر: ٢٢.

(١٢) المطففين: ١٥.

(١٣) البقرة: ٢١٠.

(١٤) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(١٥) طه: ٨١.

الجهاد والارهاب

(الصورة والحقيقة)

أوراق

الاعلام يعطي مساحات واسعة لكل لفظ ومصطلح وبعض الاحيان يخترع صورة مناسبة مفروضة للألفاظ التي يريد استعمالها، والجماهير تتلقى الخبر او الكثافة الاعلانية للفظ بشكل مسلّم دون التدقيق او البحث عن هذه الاستعمالات، وتنطلق الجماهير بهذا الاستيعاب نحو الواقع الذي صنع من مخيلتهم، وقليل منهم يجد الصورة كما هي لا كما يريد الاعلام.

والمشكلة الثانية التي يتعرض لها المفهوم او الموضوع، هي الاستعمالات الخاطئة من قبل الناس او من قبل الجماهير بشكل عام، فمثلاً استعمال لفظ الجهاد للحروب والاقتتال بين الفصائل الاسلامية اليوم يعطي صورة وحشية عن هذا المفهوم الاسلامي بسبب التطبيق الخاطئ والممارسة المغلوطة، ولا ريب اننا نقف هنا امام معضلة كبيرة ترجع في هذا الخطأ الى عاملين أساسيين:

الاول: فهم الناس المغلوط للدين وقصورهم عن ادراك معنى الموضوع الديني وعدم قدرتهم على فهم النصوص والمواضيع الدينية بصورة تتلاءم والتقدم الزمني والحدث المغاير وما يحيط بهذه الموضوعات من ظروف ومناخات مختلفة حتى تصبح هذه الموضوعات الدينية ضحية فهم السذج من الناس وبذلك يصبح لهؤلاء سلطة التكلم باسم السماء ورب الناس.

اما العامل الثاني: فهو يظهر بصورة عناد وجهل من قبل الذين يطبقون هذه الموضوعات ويستغلونها ابشع استغلال من اجل

مصالحهم، فهم ليسوا على علاقة تامة وصحيحة بالدين، وليسوا بمؤمنين واقعاً، انما هنالك غرض يدفعهم لاستغلال الموضوع الديني.

بهذه الصورة البشعة استخدم الارهابيون مبدأ الجهاد في الاسلام، فصاروا يقتلون ويذبحون ويفتون بقتل وسلب واضطهاد كل من يخالفهم ولا ينتمي اليهم، بل حتى لو اعلن الانتماء والانضمام اليهم فلا يسلم من القتل والذبح والحرق والتعذيب، هذه الممارسات التي ظهرت في فترات مختلفة من هذا القرن والقرن الماضي، تكشف استغلال هؤلاء للمفاهيم الدينية والتلاعب بها من اجل تحقيق المآرب او اشباع طبيعة الشر التي صنعوها لأنفسهم.

فالجهاد في الاسلام لا يعني قتل الناس وصلبهم ونهب اموالهم لمجرد انهم يخالفونا في الاعتقاد والدين، انما الجهاد له شروط وموضوعات وظروف خاصة، والمشرع منه المشهور عند علماء المسلمين هو الجهاد الدفاعي، حيث يتحصن المسلمون عن اي اعتداء خارجي يقع عليهم، وهذا الدفاع قضية معروفة عند الجميع ويقر بفائدته كل عاقل، ولا تجد امة او بلد او دولة لا تهتم بالجانب العسكري والامني وتسليح جيشها، بل هنالك قانون في كثير من دول العالم يعرف بـ(التجنيد الالزامي) ولا احد يعترض عليه، لان فائدته كبيرة جداً.

فالإرهابيون اليوم بما يصنعون من قبائح ومفاسد صدروا مفهوم الجهاد الاسلامي بصورة سيئة للغاية، وهذه الافعال بجوهرها ومنابعها لا تمت للجهاد الاسلامي بوجه حقيقي، وقد ضخم الاعلام الى جانب افعالهم صورة الجهاد هذا والبسه ذلك الثوب الاجرامي، فهنالك شق فاصل عريض بين الجهاد والارهاب، فالإرهاب عملية قتل غير منضبطة تحت قانون او مبدأ او فلسفة، لا تحمل وجهة نظر او تتكئ على قاعدة واضحة وصريحة، بل يستمد شرعيته وقانونه من رجال الشر الذين يتعطشون للدماء باستمرار.

انما فرض الجهاد في الاسلام لحماية المسلمين آنذاك من الاخطار التي تحيط بهم، وهو ما يسمى بالجهاد الدفاعي، اما الجهاد الهجومي فلا يمكن لنا نعده جهاداً مشابهاً للإرهاب، غاية ما هنالك هو موضوع ديني لعلماء وائمة الاسلام قول مفصل فيه، وله ظرف وموضوع يمارس فيه، فممارسة الجهاد الهجومي بعد النبي الاكرم ﷺ لم يحصل بصورة مشروعة انما هو اجتهادات اقامها رجال ينتمون الى الاسلام وهم لا يمثلون الاسلام ولا ينطقون عنه، ليسوا بأئمة هداة من الدين نفسه، هم نصبوا انفسهم واعطوا الشرعية لمن بعدهم.

الشيعة

في نظر الدكتور طه حُسين

الشيخ محمد جواد مغنية

الطائفة الشيعية هي أهم الطوائف التي كثر حولها الجدال والنقاش، وتشعبت فيها أقوال الباحثين من شرقيين وغربيين قديماً وحديثاً، وقد صورها الكاتب الشهير الدكتور طه حسين بأنها حزب معارض لسياسة البغي والجور، لهذه الغاية انشئت، وعليها عملت، ولأجلها اضطهدت، وهذا ما دعاني إلى أن انقل للقراء رأي الدكتور في هذه الطائفة.

أخرج الدكتور المجلد الثاني من كتابه الكبير الفتنة الكبرى، وموضوع هذا المجلد «علي وبنوه» ابتدأه بخلافة الإمام علي، وختمه بمقتل ولده الحسين، ذكر ما قاله الرسول وأصحاب الرسول في مدح علي، وانه كان أهلاً لتلك الفضائل، ولأكثر منها، وانه على الرغم من الخطوب والمحن التي توالت عليه من كل جانب كان يمضي على الحق لا يلوي على شيء مهما تكن العاقبة، أما خصوم الإمام كعائشة ومعاوية وابن العاص وطلحة والزبير وغيرهم فقد عارضوه وخاصموه ليصرفوا الأمر عنه إلى أهوائهم وأغراضهم، وهذه الحقيقة اثبتها الدكتور بالوقائع والأرقام، وإليك هذا المثال على أسلوبه في اثبات الحقائق، قال:

(من الممكن أن يقال: إن معاوية اجتهد للناس فأخطأ أو أصاب، لكنه قاتل علياً على دم عثمان من جهة، وعلى أن يرد الخلافة شورى بين المسلمين من جهة أخرى، فلما استقام له السلطان نسي ما قاتل عليه، أو أعرض عما قاتل عليه أي بعد أن أصبح معاوية دكتاتوراً لم يتتبع قتلة عثمان، وجعل الخلافة كسروية وقيصرية، فنقلها إلى ولده الطاغية يزيد بالقهر عن المسلمين).

بهذا المنطق السليم حاكم الدكتور جميع القضايا التي تعرض لها في كتابه، أما النتيجة التي انتهى إليها، فهي أن الذين حاربوا علياً،

وكادوا له، وعارضوه فيما كان يراه من حق، هم وحدهم السبب في محنة الإسلام من ذلك العهد حتى آخر يوم، وهم وحدهم الذين أورثوا المسلمين عناء وخلافاً لم ينقضيا، ولن ينقضيا إلى أن يشاء الله.

وليس من غرضي التعريف بالكتاب من جميع نواحيه، ولو أردت ذلك لم أكتف بمقال أو مقالين؛ لأن الكتاب كبير جداً كبير بحجمه، كبير بحقائقه، كبير بما يثيره من المشاعر والأحاسيس، كبير بقدرة كاتبه على التعبير، وبراعته في الأداء، وانما غرضي أن أعرف القارئ برأي الدكتور في الشيعة، وبخاصة الشيعة أنفسهم، ليعرفوا أنهم بعيدون كل البعد عن روح عقيدتهم ومبادئهم.

ولم يخصص الدكتور طه فصلاً من كتابه للبحث عن الشيعة، وليته فعل ولكنه أشار إليهم بكلمات متفرقة في صفحات عديدة، لمناسبة ساقه إليها البحث من حيث يريد أو لا يريد وهي بمجموعها تعطينا الصورة التالية:

(إن لكلمة الشيعة معنيين الأول: المعنى اللغوي، وهو الفرقة من الاتباع والانصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج، فشيعة الرجل في اللغة هم أصحابه الذين اتبعوا رأيه، وهذا المعنى هو المقصود من قوله سبحانه « ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ -فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته» والشيعة بهذا المعنى كانوا موجودين في عهد الإمام بلا ريب.

الثاني: المعنى الاصطلاحي، وهو هذه الفرقة المتميزة بعقائدها وعوائدها الخاصة، والمعروفة عند الفقهاء والمتكلمين ومؤرخي الفرق، ويقصدونها عندما يطلقون كلمة الشيعة، والشيعة بهذا المعنى لم يكن لهم في عهد الإمام عين ولا أثر «وإنما كان للإمام في حياته أنصار وأتباع، وكانت كثرة المسلمين كلها أنصاراً له وأتباعاً»).

ويعتقد الدكتور أن فرقة الشيعة بالمعنى الاصطلاحي المعروف إنما نشأت وتكررت وأصبحت حزباً سياسياً منظماً لعلي وبنيه بعد أن وقع الصلح بين الحسن ومعاوية، وبعد أن نكث هذا بالعهد ولم يف بما اشترطه على نفسه، تألف وفد من أشراف الكوفة برئاسة سليمان بن صرد الخزاعي، وذهبوا إلى المدينة للقاء الحسن، وطلبوا إليه أن يعيد الحرب خدعة، وأن يأذن لهم في أن يسبقوا إلى الكوفة فيعلنوا فيها خلع معاوية، ويخرجوا منها عامله، فأمرهم الحسن بالكف والانتظار إلى حين، وبهذا الوفد تكونت أول بذرة لفرقة الشيعة «وكان برنامج الحزب في أول انشائه طاعة الإمام من بني علي، والانتظار في سلم ودعة حتى يؤمروا بالحرب فيثيروها، ومضى رجال الشيعة يسجلون على معاوية وولاته ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل».

وكانت رئاسة الفرقة للحسن، ومن بعده لأخيه الحسين «وكان الحسين كأبيه صارماً في

الحق، لا يرى الرفق، ولا الهوادة.. وأغرى حزبه بالاشتداد في الحق، والانكار على الأمراء الذين اسرفوا في أموال الشعب، فأسرف معاوية وولاته في الشدة عليهم، حتى تجاوز كل حد، وعظم أمر الشيعة بسبب الاضطهاد، وانتشرت دعوتهم في شرق الدولة الإسلامية، وفي جنوب بلاد العرب، ومات معاوية حين مات، وكثير من الناس وعامة أهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني أمية وحب أهل البيت ديناً» اذن كانت الشيعة في آخر عهد معاوية فرقة متميزة عن غيرها، لها عقيدتها وخصائصها.

وكان الشيعة منذ عهد معاوية إلى عهد العباسيين يثورون على الحكام الذين ساروا في حكمهم على سياسة الأرض ومن عليها ملك للسلطان، واكراه الناس على الخضوع والاعتراف بهذا الملك وتثبيته بالقتل والحبس والتشريد، ثار الشيعة وعارضوا الحاكم الذي حكم الناس بالغي واستبدل الجور بالعدل، والباطل بالحق، عارضوا الحاكم الجائر ولم يخضعوا لحكمه وجوره، فأمعن فيهم قتلاً وتعذيباً، فأمعنوا في محاربته غير مسالمين، ولا مهادنين ولا مكترثين بالموت والتعذيب في سبيل الحق، سخط الشيعة على سياسة الجور، فقتل من رجالهم من قتل كحجر بن عدي، والحسين ونسائه وأطفاله وأصحابه، ولم يكن نصيب الشيعة من الحكام بأقل من نصيبهم من المؤرخين والمحدثين، فقد أضاف هؤلاء إلى الشيعة أشياء وأشياء لا يعرفون شيئاً واحداً منها، أضافوا إليهم وافتروا عليهم إمعاناً في النيل، وغلواً في الخصومة والبغض، وارضاء للحكام، كما يفعل اليوم كثير من أرباب الصحف والمتأدبين مع الأحرار ارضاء للمستعمر واذنابه الرجعيين والإقطاعيين.

والخلاصة:

أن الشيعة في نظر الدكتور طه هم فرقة انشئت وتكونت بعد الإمام علي بأعوام قليلة، وانها كانت حزباً معارضاً لسياسة الجور، والأوضاع الفاسدة، وأن هذه المعارضة كانت تظهر تارة في قالب الثورة، وحيناً باعلان السخط والتشنيع على الحاكم، وبسبب ذلك نسب إلى الشيعة ما ليس لهم به علم، وقتلوا وعذبوا، كما قتل علي والحسن والحسين.

وإذا كان مذهب التشيع يقوم على أساس الثورة على الظلم والاستبداد، فهل نحن شيعة حقاً! وهل نحب علياً وبنيه! ويا ليت اننا آثرنا العافية بالسكوت والانعزال، ولم نسر في ركاب الظالمين ننشد القصائد الطوال والخطب الرنانة في مديحهم والثناء عليهم.

وبعد، فهل نحن شيعة؟ أجل، نحن من ذرية أولئك السلف الذين ذكرهم الدكتور طه حسين وأكثر منهم عداً.

علم الفقه، علم الأصول، علم الرجال، علم الحديث

الصغائر والكبائر

السيد محمّد رضا السيستاني

الإسلام دين إلهي عالمي لجميع العصور

الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني

تحديد معنى الظن

الشيخ إبن إدريس الحلي

منزلة علم الحديث

السيد محمّد حسن البر وجردي

الدين في ينابيعه الأولى

الشيخ محمّد أمين زين الدين

الصغائر والكبائر

السيد محمد رضا السيستاني

تنقسم المعاصي إلى كبائر وصغائر، وقد اختلف الفقهاء (رضوان الله عليهم) في ان هذا التقسيم إضافي أم حقيقي، فذهب بعضهم كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي في العدة والعلامة الطبرسي إلى كونه إضافياً على أساس ان كل معصية بالقياس إلى ما دونها كبيرة، إذ أنها هتك لحرم الله وتمرد عليه.

ولكن الظاهر من الآيات المباركة والأحاديث الشريفة ان التقسيم المذكور حقيقي فمن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1] ومن الروايات قوله عليه السلام في معتبرة ابن أبي عمير: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر»[2] فالمستفاد من الآية الكريمة والرواية الشريفة ونحوهما من الآيات والروايات ان المعاصي على قسمين: فهناك مجموعة من المعاصي تشترك في درجة عالية من المفسدة، أو ضياع درجة عالية من المصلحة، وهي التي تسمى بالكبائر؛ ويقابلها مجموعة أخرى لا تكون بتلك المثابة وتسمى بالصغائر، وان اختلفت أفراد كل قسم في درجة الأهمية، كما يشير إلى ذلك بعض الروايات كخبر محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام سأله: أي شيء الكبائر؟ فقال عليه السلام: «اكبر

(١) النساء: ٣١.

(٢) التوحيد: ص ٢٠٤.

الكبائر: الشرك، وعقوق الوالدين»[٣]،

وخبر أبي الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق، وأكل أموال اليتامى..»[٤] حيث يستفاد من هاتين الروايتين ان الكبائر تتفاوت فيما بينها في الدرجة، وبعضها اكبر من بعض، وليست كلها على نسق واحد، وكيف كان فالتفريق بين الكبائر والصغائر يتعرض له في موردين:

باب العدالة، حيث ذهب جمع من الفقهاء – ونسب إلى المشهور – ان المعتبر في العدالة هو الاجتناب عن الكبائر، واستدل بعضهم على ذلك بعدة روايات منها رواية لابن أبي يعفور[٥]، وفي قبال هؤلاء من قالوا: ان العدالة هي الاستقامة في جادة الشريعة، وينافيها ارتكاب أي حرام وترك أي واجب، والبحث في ذلك موكول إلى محله.

باب استحقاق العقوبة، حيث مر أن مقتضى الآية الكريمة والروايات الشريفة التي منها صحيحة ابن أبي عمير المتقدمة ان اجتناب الكبائر يعد من المكفرات للصغائر، كما يعد أيضا من المكفرات: التوبة وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومن ثبت لهم حق الشفاعة من غيرهم، والشفاعة تعم الصغائر والكبائر كما نصَّت على ذلك الروايات، فبذلك تختلف عن اجتناب الكبائر إلى لا يكفر إلا عن الصغائر.

ولكن ربما يطرح في المقام سؤال، وهو:

ان الداعي للنهي عن الشيء سواء كان من الكبائر أم الصغائر ليس إلا إيجاد الزاجر بالإمكان في نفس المكلف عن ارتكابه، وقوام الزاجرية بالوعيد على الفعل، فوعد المكلف بعدم معاقبته على المخالفة في مورد الصغائر، إذا اجتنب عن الكبائر يخفف زاجرية النهي عن الصغائر، ويفتح المجال أمام المكلف ليرتكبها، وهو قد يتنافى مع المقصود من توجيه النهي وخلاف الحكمة في تشريعه، فما هو الوجه في ذلك؟

والذي يبدو لي في الجواب عن ذلك وجهان:

الأول: ان تخفيف الزاجرية في النهي عن الصغائر – ان وجد حقيقة – فهو على حساب رفع مستوى الانزجار من ارتكاب الكبائر في نفوس المكلفين؛ حيث إن المكلف إذا عرف ان اجتنابه عن الكبائر سيمنحه الحصانة من العقوبة الحاصلة بارتكابه الصغائر يكون ذلك ادعى له إلى ترك الكبيرة.

والأهمية القصوى التي تحظى بها الواجبات والمحرمات التي يعد عصيانها من الكبائر اقتضت جملة أمور:

منها: مزيد الاهتمام بها في مرحلة التبليغ حيث يلاحظ أنها ذكرت كلها أو جلها في القرآن المجيد، وجرى التأكيد عليها بشكل موسع على لسان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فالفرق بين الصغائر والكبائر في مستوى التبليغ واضح.

ومنها: ان العقاب المقرر على عصيان الكبائر أشد

(٣) الخصال: ص ٤١١.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٤/ ص ١٥٠.

(٥) تهذيب الأحكام: ج٦/ ص ٢٤١.

وأعظم من عقاب غيرها.

ومنها: استخدام أساليب خاصة في الزجر عن ارتكاب الكبائر، حيث يكون لها وقع اكبر في نفوس المكلفين، ومثال ذلك أكل أموال اليتامى -المعدود من الكبائر في معظم الروايات- حيث يلاحظ أن الله تبارك وتعالى عبرَّ عن حرمته بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٦]، ولهذا التعبير أثر إحساسي كبير كما لا يخفى، وكذلك في مورد الربا حيث قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٧] فإن كون آكل الربا في حرب مع الله ورسوله له الأثر البالغ في الانزجار عنه.

ومنها: كما هو مقتضى الأدلة المتقدمة - وعد الله المكلفين بالعفو عن صغائر الذنوب إذا كفوا أنفسهم عن ارتكاب الكبائر.

فهذا كله يأتي في إطار تفعيل زاجرية النهي عن الكبائر، أي ان الحكمة الإلهية التي تستند إلى رعاية المصالح والمفاسد اقتضت إعمال هذا الأسلوب في محاولة ردع الكلف عن ارتكاب الكبيرة، فالحكمة فيما يدعى انه يؤدي إلى تخفيف زاجرية النهي عن الصغائر هي ازدياد الانزجار عن الكبائر مراعاة لأهميتها القصوى.

إذن الوعد بالتجاوز عن الصغائر مع اجتناب الكبائر يأتي انسجاما مع هذه الحكمة. فلو سلّم انه يفتح للمكلف باب ارتكاب الصغائر لم يكن فيه ضير، بلحاظ انه يؤدي إلى إحكام غلق باب ارتكاب الكبيرة. وبالجملة اجتناب الكبيرة مطلوب ولو على حساب ارتكاب الصغيرة.

الثاني: ان وعد الله سبحانه وتعالى بالتجاوز عن الصغائر مع اجتناب الكبائر لا ينبغي ان يجرأ المكلف على ارتكاب الصغيرة، وذلك لأنه ليس بمأمن من ارتكاب الكبيرة في مستقبل أيامه، فإن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحمه الله تبارك وتعالى، فأنى يتيسر للمكلف ان يثق من نفسه بعدم ارتكاب شيء من الكبائر في مستقبل أيامه وفي باقي عمره حتى يسمح لنفسه بارتكاب الصغيرة اعتمادا على الوعد الإلهي بالتجاوز عنها، لا سيما ان قائمة الكبائر تشتمل على الكثير من المعاصي التي لا ينجو منها إلا الأوحدي من الناس في طول عمره من أمثال الغيبة والكذب والإسراف والتبذير وحبس الحقوق من غير عسر ونحوها.

وبالجملة فإن الوعد المذكور لا ينبغي - لمن ينظر بعين البصيرة ويتحسب لعواقب الأمور- ان يخفف من زاجرية النهي عن الصغائر في نفسه، بل يلزم ان يبقى خائفا من ارتكاب الصغيرة لاحتمال ابتلائه في يوم من الأيام بشيء من الكبائر، فلا يشمله الوعد الإلهي بالتجاوز عما ارتكبه من الصغائر.

وعلى هذا يتضح ان الوعد المذكور إذا لوحظ في

(٦) النساء: ١٠.

(٧) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

جنب عدم إمكان الوثوق بالنفس بعدم ارتكابها شيئا من الكبائر إلى آخر العمر من حيث كونها أمارة بالسوء ليس له تأثير في تخفيف زاجرية النهي عن الصغائر.

هذا ما خطر بالبال في الإجابة عن السؤال المذكور، ولكن يستفاد من العلامة الطباطبائي قدس سره الجواب عنه بوجهين آخرين أحدهما نقضي والآخر حليٌّ:

فأفاد في الجواب الحلي قائلا: (ارتكاب الصغيرة من جهة أنها صغيرة لا يعبأ بها ويتهاون في أمرها يعود مصداقا من مصاديق الطغيان والاستهانة بأمر الله سبحانه، وهذا من اكبر الكبائر بل الآية تَعِدُ تكفير السيئات من جهة أنها سيئات لا يخلو الإنسان المخلوق على الضعف المبني على الجهالة من ارتكابها بغلبة الجهل والهوى عليه)[8]، أي ان الوعد بالتجاوز عن السيئات إنما هو في مورد ارتكابها جهالة من باب الانسياق وراء الهوى وغلبته على المكلف، ولا يشمل مورد ارتكابها استصغارا لشأنها، وإلا فان هذا يعد من الكبائر وقد ورد في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «اشد الذنوب ما استخف به صاحبه»[9].

وأفاد في الجواب النقضي قائلا: «مساق هذه الآية مساق الآية الداعية إلى التوبة التي تعد غفران الذنوب.. فكما لا يصح ان يقال هناك: ان الآية تغري إلى المعصية بفتح باب التوبة.. فكذا ههنا».

ويلاحظ على ما أفاده في الجوابين: أما الجواب الحلي فبان مورد الكلام في فتح المجال لارتكاب الصغيرة إنما هو فيما إذا كان ارتكابها اعتمادا على الوعد الإلهي بالتجاوز عنها إذا اجتنب عن الكبيرة، لا في مورد استصغار الذنب والاستهانة به، والفرق شاسع بين الأمرين، فإن من يستهين بارتكاب صغيرة يقع في كبيرة من الكبائر، وليس هذا محلا للكلام، وإنما كلامنا في من يعترف ان هذه الصغيرة ذنب، والعقوبة الإلهية صارمة على كل حال، وهي أمر كبير وغير قابلة للتحمل، ولكن يعتمد على الوعد الإلهي بالعفو عنها مع اجتناب الكبائر.

وأما الجواب النقضي فبأن القياس مع الفارق، أي لا يصح قياس التوبة بما نحن فيه؛ لأن الوعد الإلهي بتكفير الصغائر في مورد كلامنا ليس منوطا إلا بشيء واحد وهو اجتناب الكبائر، وأما في مورد فتح باب التوبة فالأمر مشروط بأمر آخر، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم**﴾[10] ويستفاد منه وجود شرطين لقبول التوبة:

الأول: ان يكون ارتكاب المعصية عن جهالة، والمراد بها الانسياق وراء الهوى، كالقوة الشهوية والغضبية إذا سيطرت على الشخص، ولا يشمل مورد من يخطط لارتكاب المعصية، ومن ثم للتوبة لمحو آثار ارتكابها، فإن صدور المعصية ممن هذا تفكيره لا يكون عن جهالة،

(٨) الميزان في تفسير القرآن: ج٤/ ص ٣٢٥.

(٩) نهج البلاغة: ج ٤/ ص١١٠.

(١٠) النساء: ١٧.

بل عن خباثة، فهو غير مشمول لمورد الآية الكريمة.

الثاني: ان تكون التوبة حقيقية، وهو يحصل بالندم الحقيقي، ومن يفكر بأنه يعصي ومن ثم يتوب كيف يثق من نفسه ان توبته لاحقا تكون مع الندم الحقيقي؟ بل ان من يخطط هكذا لا يكون ندمه ندما حقيقيا عادة. نعم، يمكن ان يحصل له ذلك إذا طرأ تحول حقيقي في حياته.

وبالجملة هناك فرق كبير بين مورد التوبة ومورد الوعد الإلهي بالتجاوز عن الصغيرة باجتناب الكبائر، فما أفاده قدس سره ليس بواضح.

يبقى الكلام في: ما هو الضابط لكون المعصية من الكبائر؟ فإن هناك أمورا ذكرها أهل البيت عليهم السلام في عداد الذنوب الكبيرة -على اختلاف الروايات في عددها- منها الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرمة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وغيرها.

وقد ورد تعريف الكبيرة في جملة من النصوص بما أوعد الله عليه النار، منها روايات، محمد بن الفضيل[11] وعباد بن كثير النوا[12] واحمد بن عمر الحلبي[13] وعبد الله بن أبي يعفور[14]، وورد تعريفها في بعض الروايات الأخرى بما اوجب الله عليه النار، كما في روايات الحلبي[15] وأبي بصير[16] ومحمد بن مسلم[17] وعبيد إبن زرارة[18]. والظاهر ان المقصود واحد.

فعلى هذا فالمناط في كون المعصية من الكبائر -إذا لم يرد النص فيها على ذلك بالخصوص- هو ورود الوعيد عليها بالنار، فإذا لم يرد فيها الوعيد بها كانت من الصغائر، إلا إذا ثبت كونها أكبر من بعض ما ورد التنصيص على كونه من الكبائر أو من بعض ما هو مشمول للتعريف المذكور.

هذا ولكن ذكر السيد الطباطبائي قدس سره[19] ان التعريف المذكور ليس منعكسا، أي أن الكبيرة هي ما أوعد الله عليها النار، وأما ما لم نجد عليه الوعيد بالنار فليس بالضرورة ان يكون من الصغائر.

ولم يظهر الوجه فيما أفاده؛ وذلك لان الإمام عليه السلام قد سئل عن الكبائر، فأجاب ببيان الضابط المذكور، أي ما أوعد الله عليها النار، وحيث انه عليه السلام كان في مقام التحديد، فلا محالة ينعقد لكلامه ظهور في المفهوم، وهو ان ما لم يعد الله عليه بالنار فليس هو من الكبائر، فالتعريف المذكور مطرد ومنعكس معاً.

تبقى الإشارة إلى ان الفقهاء (رضوان الله عليهم) قد اختلفوا في اعتبار ورود الوعيد بالنار على المعصية

(١١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ١٣٠.

(١٢) م ن: ص ٢٣٣، تفسير العياشي: ص٢٣٩.

(١٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص١٣٠.

(١٤) تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢٤١

(١٥) الكافي: ج٢/ ص٢٧٦.

(١٦) م ن: ص٢٨٤.

(١٧) م ن: ص ٢٧٧.

(١٨) علل الشرائع: ج٢/ ص ٤٧٥.

(١٩) الميزان في تفسير القرآن: ج٤/ ص٣٢٦.

في خصوص القرآن المجيد أو الاكتفاء بوروده ولو في السنة، وقد ذكر كلا الوجهين الشيخ الأكبر كاشف الغطاء قدس سره[٢٠]، ولكن ظاهر المحقق الملا صالح المازندراني قدس سره[٢١] ان الكبائر خصوص ما أوعد الله عليها النار في القرآن، وهذا هو الأقرب في النظر كما سيأتي.

تكميل: يمكن ان يتوهم عدم شمول الكبائر لترك الواجبات، بل هي مختصة بفعل المحرمات، وذلك لاختصاص الآية الكريمة: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ بالمنهي عنه.

ويمكن ان يجاب عن ذلك بأن ترك الصلاة أيضا قد ورد النهي عنه في جملة من النصوص كما في رواية القداح عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل طلب النصيحة من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له صلى الله عليه وآله: «لا تدع الصلاة متعمدا، فإن من تركها متعمدا فقد برئت منه ملة الإسلام»[٢٢].

ولكن هذا الجواب ليس بشيء، فإن النهي المذكور ليس حقيقياً، بل صورياً حيث ان الحكم، الثابت في مورد الصلاة هو وجوب فعلها، والجمع بين وجوب الفعل وتحريم تركه لغو، لا يصدر من الحكيم؛ لأن الأمر إنشاء بداعي إيجاد الداعي بالإمكان في نفس المكلف إلى فعل الشيء، ويشتمل على الوعيد على الترك، فمع صدوره من المولى لا مبرر لإنشاء آخر بداعي إيجاد الزاجر بالإمكان في نفس المكلف بالنسبة للترك مع الوعيد على المخالفة.

والحاصل ان الحكم القانوني الشرعي في كل مورد لا يكون إلا واحدا أما الوجوب أو الحرمة، وأما الآخر فيكون تعبيرا أدبيا لا حكما قانونيا، وعلى ذلك فلا يكون النهي عن ترك الصلاة نهيا حقيقيا؛ لان الحكم المتعلق بالصلاة هو الوجوب، فليس تركها منهيا عنه حقيقة لينـدرج في الآية المباركة.

هذا ولكن لو سلم ان الآية المباركة المذكورة لا تشمل موارد النهي غير الحقيقي، إلا ان قوله تعالى: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ يشملها؛ حيث إن الإثم اعم من ترك الواجب وفعل الحرام. فإذا كان هناك وعد بالنار على ترك واجب يكون في عداد الكبائر، مثل الزكاة التي ورد فيها قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٣] فيكون ترك الزكاة من الكبائر، وقد نصَّت على ذلك معتبرة عبد العظيم الحسني[٢٤] رضوان الله تعالى عليه حيث ذكر الإمام عليه السلام ترك الزكاة الفريضة في عدادها.

وبالجملة إن ترك الواجبات كفعل المحرمات من الكبائر، إذا كان مما أوعد الله عليه بالنار، ولا فرق بينهما من هذه الجهة.

[بحوث في شرح مناسك الحج]

(٢٠) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج١، ص٢٦٧.

(٢١) شرح اصول الكافي: ج٩، ص٢٤٤.

(٢٢) الكافي: ج٣، ص٤٨٨.

(٢٣) التوبة: ٣٤.

(٢٤) الكافي: ج٢/ ص٢٨٥-٢٨٧، من لا يحضره الفقيه: ج٣/ ص٣٦٧-٣٦٩.

الإسلام دين إلهي عالمي لجميع العصور

الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني

من الأمور التي لا ريب فيها والتي اتفق عليها المسلمون، ودلَّت عليها البراهين المحكمة العقلية والسمعية أن الإسلام دينٌ عالميٌّ لنوع الإنسان كافة، ولجميع الأعصار والأزمان، وأنه أقوم الأديان وأوضحها، وأوسط الطرق وأشملها، وأنه صالحٌ لإدارة المجتمع الإنساني دائماً، فكلما يمضي عليه الزمان لا تسبقه الحضارات والمدنيات، ولا يتأخر عن العلم والتكنيك، فهو يقود البشرية ويهديها إلى الرشد والكمال، فلا يوجد باب إلى خير الإنسان وفلاحه وسعادته إلا وقد فتحه عليه، ولا يوجد باب إلى الشقاء والبوار والتبار إلا وقد أغلقه عليه.

قد تكفل وشمل بسعة تعاليمه وأحكامه وشرايعه جميع ما يحتاج إليه البشر من النظم المادية والمعنوية، والروحية والجسمية، الفردية والاجتماعية وغيرها مما هو مبين بالكتاب والسنة، فقد أنزله الله تعالى، ليكون دين الجميع ودين العالم كله، ودين الأزمنة والأعصار كلها، ورفع به جميع ما يحجز الإنسان عن الرُّقي والتقدم السليم الحكيم، وحرر به الإنسان عن رقيته السيئة

المخزية، وأخرجه من ذل عبادة الطواغيت المستكبرين وحكومة الجبارين، وأدخله في عز حكومة الله تعالى خالق الكون ورب العالمين، وهتف به وناداه أنه لافضل لعربي على عجمي، وأن كل الناس عالمهم وجاهلهم، غنيهم وفقيرهم، قويَّهم وضعيفهم أمام الحق سواء، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، وأن الدار الآخرة للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين، وأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

هذا قليلٌ من الإسلام الذي ختم الله به الأديان، دين الله الخاتم، دين الفطرة ودين الحياة، دين العلم والعدل والإنصاف وكرائم الأخلاق، دينٌ كله نظام: نظام العقيدة الصحيحة الخالصة من الخرافات، نظام الآداب الحسنة، نظام العبادة لله تعالى، نظام الحكومة والسياسة، نظام المال والاقتصاد، نظام الزواج والعائلة والأحوال الشخصية، نظام التعليم والتربية الرشيدة، نظام القضاء وفصل الخصومات، نظام الحقوق والمعاملات، نظام الصلح والحرب، ونظام كل الأمور، فهو عقيدةٌ وشريعةٌ، وسياسةٌ وحكومة.

نظام لا ينسخ ولا يزول ولا يتغير أبداً، لأن الله تعالى ختم به وبالمرسل به، سيدنا وسيد الخلق أجمعين، وسيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ، النبوّات والرسالات، فلا شريعة بعده ولا كتاب ولا نبوَّة، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ولا ريب أن معنى خاتمية الدين بقاء أحكامه الخمسة من الكراهة والندب والإباحة والوجوب والاستحباب، وأحكامه سواء كانت أحكام موضوعات بعناوينها الأولية مثل حرمة أكل الميتة، أم بعناوينها الثانوية مثل جواز أكل الميتة في حال الاضطرار، وسواء كانت من الأحكام الظاهرية أم الواقعية، على ما بُيِّن تعريفها في علم أصول الفقه، وهكذا أحكامه الوضعية كالزوجية والملكية والولاية والحكومة وغيرها، سواء قلنا بأن الوضعية منها متأصلة بالتشريع والجعل الإلهي، أم منتزعة من الحكم التكليفي الشرعي.

فهذه الأحكام بجملتها وبكل واحد منها مصونةٌ عن التغيير والتبديل، فلا تنالها يد الإنسان كائناً من كان بتغيير ولا تبديل، لا لأنها أحكام خالدة حَكَم الله تعالى بخلودها وبقائها ما بقي من الإنسان كائن حي فحسب، بل لأنه مضافاً إلى ذلك ليس لغير الله تعالى -على أساس الإيمان بالتوحيد وبصفات الله الكمالية التي هو سبحانه متفرد بها- صلاحية التشريع والحكم، والولاية على غيره، بل وعلى نفسه.

فالنظام المؤمن بالله تعالى لا يعدل عن أحكام الله تعالى، ولا يرى لشعبه ولا لقيادته حق التشريع، ولا يتخذ حاكماً ووليّاً من دون الله، بل يقدس الله وينزهه عن أن يكون له شريك في الحاكمية والمشرعية، وذلك بخلاف مبادئ الأنظمة المشركة الملحدة، التي من مبادئها أن الحكومة ووضع القوانين والأنظمة حق للشعب والأكثرية دون الله تعالى، ولا فرق بينها وبين

حكومات الطواغيت الماضية والأنظمة الملكية المطلقة في الشرك ونفي حاكمية الله تعالى، إلا أن هؤلاء المفتونين بالديمقراطية يرون الحاكمية والاستبداد بالأمر وتشريع البرامج والنظم السياسية والقضائية وغيرها حقاً للشعب والناس، والحكومات الديكتاتورية الطاغوتية تراها للديكتاتور الطاغوت، فهذه حكومة طاغوتية جَماعية خارجة عن حكومة الله تعالى، وهذه حكومة طاغوتية استبدادية فردية، وكل منهما ليس من الحكومات الشرعية المؤمنة بالله تعالى وحكومته وأحكامه وشرايعه.

ولا يخفى عليك أن صيانة الأحكام الإلهية عن تصرف أفراد البشر بالنسخ والتغيير والتبديل خصيصة عامة لجميع الشرايع والأديان السماوية، فلا ولاية لأحد على تغيير حكم من أحكام الله، نعم عدم جواز نسخ الأحكام من جانب الله تعالى كما في الشرائع السابقة خصيصة اختص بها دين الإسلام، لأنه خاتم الأديان والشرايع، وأفضلها وأقومها، فلا نبوة ولا نبي بعده كما جاء في الخبر المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله إنه قال لعلي عليه السلام: «أنت منِّي بمَنْزلة هارون منْ مُوسى إلا أَنه لا نبيَّ بَعْدي» وفي لفظ «إلّا أَنه لا نُبُوَّةَ بَعْدي».

والخاتمية سرها وباطنها وعلتها أكملية الدين، فالدين الخاتم، يجب أن يكون أكمل الأديان، كما أن الأكمل لا بد وأن يكون الخاتم، لأنه نهاية الغرض والحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، فلا رسالة بعده، فالرسالة المحمدية هي تمام الرسالات وكمالها، وجاء بها نبينا الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم، جاء برسالته صلى الله عليه وآله عند ما بلغ المجتمع الإنساني بلوغه الصالح لتحمل هذه الرسالة والعمل بها، ومهما تتقدم العلوم والمعارف، وتتقارب البلدان وتسير إلى الأمام والوحدة الاجتماعية والسياسية، يتكامل هذا البلوغ والصلاحية.

وجدير بالذكر أن هذا الأساس والعقيدة عند المسلمين، بأن الأحكام مصونة عن التغيير والتبديل، كان من أدل الأدلة لرد المتجاوزين والمتعدين حدود الله وأحكامه، ونفي إبطال المبطلين طوال أربعة عشر قرناً، ولو لم نحتفظ بهذا الأصل الأصيل، ولم ننكر على من يتخلف عنه أو يقول باختصاصه بالنصوص القرآنية، أو باختصاصه بغير الأمور الدنيوية والمالية، لرأينا الدين غير الدين والملة غير الملة، ولتلاعب أهل الأهواء والآراء في كل عصر بلعب جديد يوافق بزعمهم مزاج العصر.

[الاحكام الشرعية ثابتة لا تتغير]

تحديد معنى الظن

الشيخ إبن إدريس الحلي

مسألة في تفسير قول الشيخ الطوسي في باب السهو وتحديد معنى الظن:

ما تقول في قول الشيخ رحمه الله[1] في جُمله باب السّهو حيث يقول: وإنّما الحكم لما يتساوى فيه الظّنون أو الشكّ المحض لمتساوي الظنون معلوم، وهو أن لا يترجّح أحد الطرفين على الآخر، فما معنى قوله الشّك المحض؟

الجواب وبالله التوفيق: حدّ الظنّ عند المحقّقين غير حدّ الشّك، فحدّ الظنّ عند أبي الحسين البصري[2]: وهو تغليب بالقلب لأحد المجوّزين ظاهر التّجويز، وحدّ الشّك هو خطور الشيء بالبال من غير ترجيح لنفيه أو ثبوته.

فقول الشيخ أبي جعفر رحمه الله في جُمله: ما يتساوى فيه الظنون أو الشكّ المحض فيه تسامحٌ وتساهلٌ؛ لأنّ الظّنون إذا تساوت في الشيء ولم يترجّح فهذا حقيقة الشكّ على ما مضى حدّه، بل لا يمتنع أن يختلف اللفظ وإن كان المعنى واحداً كما قالوا، وورد في أدعيتنا عن أئمّتنا عليهم السلام: «إيماناً بك وتصديقاً بكتابك» والإيمان هو التّصديق، والتّصديق هو الإيمان، كما قال الشاعر[3]:

(هندٌ أتى من دونها النأي والبُعد) والبعدُ هو النأي، والنأي هو البعد، وكما قال آخر:

(أقوى وأقفر بعد أم الهيثم)

وهذا كثير جداً فاعلم ذلك، ويمكن أن يقال: إذا كان الحدّان مختلفين فهذا غير هذا، وهو أنّ المحض (الشك) غير تساوي الظّنون، فهما مسألتان وقولان وإن كان حكمهما في الفقه واحداً، وهو أنّ هاهنا ظُنوناً غير أنّها مُتساوية، وفي المسألة الأُخرى شكاً محضاً، فعلى هذا قول المصنّف حقّ يقين لا تسامح فيه ولا تساهل.

[موسوعة ابن إدريس الحلي]

(١) الجمل والعقود: ٧٦.

(٢) هو محمّد بن علي الطيب أحد أئمّة المعتزلة، توفي سنة ٤٣٦.

(٣) هو الحطيئة، والبيت من قصيدة يمدح بها بني سعد، يقول في ثاني أبياتها: (ألا حبّذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد) راجع ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه ط تراث العرب: ٥ بمصر.

منزلة علم الحديث

السيد محمد حسن البروجردي

إن علم الحديث أشرف العلوم وأنفعها وأوثقها، بل هو اصلها ومعدنها اما أنه أشرف فلأنه به يطاع الرب ويعبد وبه يمجَّد ويوحَّد وبه يعرف الشرع واحكامه وبه يعلم الكتاب وتنزيله وتفسيره وتأويله وجمله وغوامضه ورخصه وعزائمه وفرائضه وفضائله وبه يحفظ الدين وآثاره ويشد الاسلام وأركانه ويقمع الباطل وبنيانه وبه يخرج إلى النور من ظلمات الجهالة، وينقذ وينجى من لجج الهلاكة، ولولا سمّاعه وحفّاظه وكتّابه ورواته ورعاته لأنهارت دعائم الدين وتنكرت معالمه واندرست سبله وتهدمت أركانه، كما قال عليه السلام: «لولا زرارة ونظرائه لاندرست أحاديث أبي».

واما أنه أنفع فلأنه العلم الذي يُفضل مداد عالمه يوم القيامة على دماء الشهداء ونوم حامله على طاعة العباد الأتقياء وتضع الأجنحة لطالبه ملائكة السماء، ويستغفر له

حيتان البحر والطير في الهواء، ويعطى بكل قدم ثواب الف شهيد من الشهداء وثواب نبي من الأنبياء وجلوس ساعة عند مذاكرته أحب إلى الله من قيام الف ليلة يصلى في كل ليلة الف ركعة واحب اليه من الف غزوة ومن قراءة القرآن كله اثني عشر الف مرة وخير من عبادة سنة صام نهارها وقام ليلها كله، ويعطى بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات.

واما انه أوثق فلكونه صادرا من لسان من لا ينطق عن الهوى، ومأخوذا ممن علمه شديد القوى فان أول من أملاه بأمر الله تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله أجمعين، وأول من كتب كله بخطه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، نعم، قد اخذ غيره من الصحابة أيضا من علوم رسول الله صلى الله عليه وآله، الا انه لم يستودع ما امر بتبليغه كله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام -كما يأتي في باب حجية أقوال الأئمة في الروايات التي قد تجاوزت حد التواتر- ثم أمره صلى الله عليه وآله بإيداع ذلك الكتاب المستطاب عترته الطاهرين عليهم السلام وكان عند كل واحد من الأئمة الاثني عشر يستحفظه السلف للخلف فيستودعه من انتهى اليه الأمر، وبما أودعهم علم ما يحتاج اليه الأمة امرهم بالتمسك بهم والاخذ من علومهم والاقتداء بسيرتهم وبين لهم ان الناجي ليس إلا من ركب سفينتهم وتمسك بعروتهم ودخل من أبوابهم والهالك ليس إلا من تخلف عنهم أو تقدم عليهم أو استمسك بعرى غيرهم، وأوضح هذه الوصية وأوثقها وأكدها وشددها في الروايات المتعددة المتواترة بألفاظ مختلفة.

وقد استفاد واستكتب كثير من الصحابة والتابعين من علوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من حقائق المبدأ والمعاد ودقائق التوحيد والاخلاص ودقائق الحكم والمواعظ وعجائب القضاء والفياصل.

[جامع أحاديث الشيعة]

الدين في ينابيعه الأولى

الشيخ محمد أمين زين الدين

يفتح الانسان الذكي القلب المستيقظ الفكر الدقيق الملاحظة، يفتح هذا الانسان بصره على كل مشهد من مشاهد الكون، وعلى كل مجلى من مجالي الطبيعة وعلى كل منظر من مناظر الحياة، فيرى لأي موجود يشاهده في هذا الملكوت نظاماً دقيقاً وضابطةً محكمة، ويرى المكونات بأجمعها حتى الجامدات منها تتبع أنظمتها هذه وتسير على وفقها بأقدام ثابتة وبخطى متزنة.

فالشمس والقمر والكواكب والنجوم والفلك والأثير والقوة والمادة والحيوان والنبات والهواء والماء والحرارة والنور والحركة في المتحرك والنمو في النامي، وحتى الذرة الصغيرة ونواتها الضئيلة وطاقتها المخزونة والكتروناتها الدائرة وجسيماتها المؤتلفة، كل أولئك له نظام ثابت وسنن دقيقة لن يحيد عنه أبداً وليس في امكانيته أن يحيد، وقد فسح العلم الحديث للانسان هذا المجال وأشبع له هذه النهمة.

يفتح هذا الانسان الواعي بصره فيشاهد الانظمة والضوابط ملء الكون الفسيح وملء جنباته ودقائقه وذراته، فلكل شيء من الأشياء سنة، ولكل بعض من أبعاضه أو صفة من صفاته سنة، ولكل شيء مع غيره علاقة تحكمها سنة، ولكل طائفة من الأشياء سنة، ولكل مجموعة من الطوائف المتجانسة أو المتخالفة سنة ولمجموعة المجموعات وطائفة الطوائف سنة.

يرى ذلك بعينيه ولا يرتاب في شيء منه ولا يجادل، ويسخر ممن يشكك أو يجادل فيه، ثم يغمض عينيه بعد كل هذا الجهد ويهمس في نفسه:

أَلِلإنسان كما لسائر الأشياء سنن ثابتة ونظام مفروض؟

أَلِهذا الكائن العاقل نظام محدد يجب عليه أن يتبعه في خطوات الى غايته، ولا يسوغ له ان يحيد عنه، ام هي الفوضى المطلقة المرسلة فلا حد لها ولا شرط؟

عن الانسان يتساءل!!

عن أرقى نماذج الطبيعة، وأبدع مظاهر القدرة، وعن أسمى ناحية في هذا الكائن الراقي، وأنبه صفة من مميزاته، عن رقيه الى كماله الاختياري!!

عن الانسان وحده من بين موجودات هذا العالم العريض، وعن سلوكه الاختياري خاصة من بين سائر اتجاهاته الكثيرة، كأنه يريد للعقل أن يعلن الفوضى وأن يخرج على النظم! أو كأنه يريد للانسان أن يكون أحط منزلة من سائر المخلوقات!

وأقول في سلوكه الاختياري خاصة، لأنه لن يملك أن يدخل الفوضى في اتجاهاته الاخرى، فنشوء الانسان ونموه، وتفاعل عناصره وتآلف مواده وتمثيل أغذيته، وتدرج قواه الطبيعية وتحرك كل جهاز من أجهزته واكتمال كل جزء من أجزائه، وتكون كل خلية من خلاياه وكل كرية من كريات دمه، وكل جزء من افرازات غدده يجري بطرائق آلية محددة ويتبع في جريانه قوانين طبيعية معينة ليس في طاقة الانسان ان يتخلف عنها أو يتبع سواها رضي ذلك أم أبى.

وحتى عقله النظري والعملي هذا الذي يطمع الطاعون بخروجه على النظم، له في تكوينه وفي نشأته الطبيعية نظام رتيب لن يسعه أن يتخلى عنه أبداً.

ومعنى ذلك ان النظام سنة من سنن الكون العامة، وأن الأشياء كلها متساوية في الاذعان لها، فلكل شيء نظام معين لن يزيغ عنه الى غاية معينة لا يعدوها.

واذن فلِمَ يريدون من الانسان وحده ان يكون بدعاً من الموجودات فلا يكون له نظام محدد؟!

وهل في استطاعة كائن ما أن يتخلف عن نواميس الوجود؟!

وهل لهذا الاستثناء الغريب من سبب يوجب ذلك؟!

قد يقولون علة هذا الاستثناء أن المرء كائن عاقل، يفعل بارادة ويريد عن تبصر، فباستطاعته ان يفكر في العمل قبل إصداره، وأن يوازن بين جهاته المختلفة قبل التصميم على فعله، ثم يفعل بعد ذلك أو يترك وفقاً للحكم الذي يصدر، وللوجهة التي يؤثر، فلا حاجة بالمرء الى غاية واحدة عامة يتجه اليها في فعله ولا الى نظام شامل ثابت يستن به في سلوكه.

قد يقولون: هذه هي علة الاستثناء، وإذن ففي قياسهم هذا أن عقل المرء وتفكيره هما السبب في حرمانه من هذا الحق وفي اسقاطه

من هذه الكرامة!!

عقل الانسان وتفكيره أكبر مصادر الخير له واغزر ينابيع الكمال فيه يكونان هما بذاتهما السبب في حرمانه من الخير وابعاده عن الكمال.

انه لحكم غريب جداً يكاد لغرابته أن يلحق بالمتناقضات!!

وقد يقولون: عقل الانسان وتفكيره هما اللذان يسنان له منهج الكمال، ثم يرتفعان به صعداً إلى الغاية، فلا حاجة بالانسان الى مشرع وراء ذاته يخطط له المنهاج، ولا الى دليل يقتدي به في السلوك.

وهو قول قد يبدو له وجه مقبول، وسنعرض له فيما يأتي من المباحث، وسنتبين مقدار حظه من الوجاهه.

لابد للانسان (في ارتقائه الى كماله الاختياري) من نظام محدد أسوة له بسائر الموجودات في الكون وبسائر الاتجاهات المختلفة للانسان. ولابد من أن يكون قانون الاستكمال في قوانين الانسان كقوانين الاستكمال في الموجودات الاخرى واحداً لا يقبل التعدد وثابتاً لامجال فيه لاضطراب ولا تخلف.

وإذا كانت القوانين الكونية الموجودة لكمالات الأشياء مصنوعة لصانع واحد يدبرها بحكمة واحدة ويسيرها الى وجهة واحدة، فلابد وان يكون قانون الاستكمال في الانسان من صنع ذلك الواضع أيضاً، ومن آثار تلك الحكمة ومن متممات ذلك القصد. لامناص من هذا كله لانه من النواميس المتبعة في الوجود، ولن يملك الانسان أبداً أن يشذ عن واحد من هذه النواميس.

والكون مجموعة واحدة متماسكة الاجزاء متسقة الحركات، تجري في مدى متشابه الى غايات متشابهة، والانسان من هذه المجموعة جزء ليس في وسعه أن ينفصل، وليس من الخير له أن ينفصل فلابد ان يكون كماله شطراً من الكمال الاكبر، ولابد أن يكون نظامه جزءاً من النظام العام، ولابد ان يكون القيم عليه هو باري المجموعة الكونية والقيِّم على تدبيرها والواضع لنظمها.

والفارق الوحيد ما بينها هو أن الاستكمال فيما سوى هذا الاتجاه من الانسان طبيعي فيجب أن تكون سننه سنناً طبيعية لا مدخل فيها للارادة، وان رقي الانسان في كمالاته هذه اختياري، فيجب ان تكون شريعته وضعية تقوم على الارادة وتعتمد على الاختيار، وأخيراً أعرفت ما هو الدين؟

هو هذا النظام المحكم الشامل الذي يرقى به الانسان إلى نصابه الأعلى من الكمال.

[الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته]

مفكرة التاريخ

إعداد أوراق

ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني

إعداد أوراق

الإمام الحسين يهدي إلى الحق..

العلامة السيد علي الميلاني

يوم الشرف العلي..

إعداد أوراق

سياسة آل البيت عليهم السلام بعد الطف

السيد زهير الاعرجي

مفكرة التاريخ

أحداث شهر (رجب وشعبان ورمضان)

١/ رجب

* مولد الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عام ٥٧هـ بالمدينة المنورة.

٢/ رجب

* مولد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام سنة ٢١٢هـ في قرية تعرف بـ(صُريا) تقع على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة، تولى الإمامة سنة ٢٢٠هـ بعد إستشهاد أبيه الجواد عليه السلام وله من العمر ثماني سنين.

٣/ رجب

* إستشهاد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ في سامراء، قتله المعتمد أو المعتز العباسي بسم دسه إليه، وله عليه السلام من العمر يومئذ ٤١ عاماً.

١٠/ رجب

* مولد الإمام أبي جعفر الثاني محمد بن علي الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ.

١٣/ رجب

* مولد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على الرخامة الحمراء في جوف الكعبة المشرفة، بعد ٣٠ سنة من عام الفيل (٢٣ ق.هـ)، وذلك بعد أن انشق جدار الكعبة لأمه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.

١٥/ رجب

* وفاة عقيلة الطالبيين الصدّيقة الصغرى السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٢هـ في غوطة الشام، حيث مرقدها الشريف الآن هناك كما هو المشهور.

٢٥/ رجب

* إستشهاد الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣هـ مسموماً في سجن هارون العباسي على يد السندي بن شاهك، ودفن بمقابر قريش في بغداد حيث مرقده الطاهر الآن.

٢٦/ رجب

* وفاة مؤمن قريش أبي طالب عليه السلام، بطل الإسلام وسيد البطحاء وعم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحاميه وكافله بعد أبيه، وذلك سنة ٣ قبل الهجرة (١٠ بعد البعثة).

٢٧/ رجب

* المبعث النبوي الشريف سنة ١٣ قبل الهجرة، وفيه بُعث النبي صلى الله عليه وآله -وهو في الأربعين من عمره- بخاتمة الرسالات والأديان، فأنقذ الله سبحانه به البشرية من غياهب الضلالة والعمى إلى أنوار الرشاد والهدى.

٣/ شعبان المعظم

* مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام سنة (٤هـ) في المدينة المنورة.

٤/ شعبان المعظم

* مولد قمر بني هاشم أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام سنة (٢٦هـ) في المدينة المنورة.

٥/ شعبان المعظم

* مولد الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام سنة (٣٨هـ) في المدينة المنورة.

١١/ شعبان المعظم

* مولد شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله علي الأكبر بن الإمام الحسين عليهما السلام سنة (٣٣هـ) في المدينة المنورة.

١٥/ شعبان المعظم

* مولد الإمام الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله فرجه في سامراء سنة (٢٥٥هـ).

١٠/ شهر رمضان المبارك

* وفاة أُم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام عام (١٠) بعد البعثة، في العام (٣) قبل الهجرة.

١٥/ شهر رمضان المبارك

* مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سنة (٣هـ) في المدينة المنورة.

١٧/ شهر رمضان المبارك

* غزوة بدر الكبرى سنة (٢هـ)، وقد نصر الله فيها المسلمين نصراً عظيماً.

١٩/ شهر رمضان المبارك

* جرح الإمام علي عليه السلام بضربة سيف أشقى الأشقياء الملعون ابن ملجم المرادي الخارجي، وذلك سنة (٤٠هـ) في مسجد الكوفة المعظم.

٢٠/ شهر رمضان المبارك

* استشهاد مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة سنة (٤٠هـ).

٢٢/ شهر رمضان المبارك

* (ليلة ٢٣) ليلة القدر المباركة.

الإمام الحسين
يهدي إلى الحق ويدعو الى العدل

العلامة السيد علي الميلاني

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1]، وفي هذه الآية المباركة دلالات، فهي تدل:

أولاً: ان الامامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله انما هي بيد الله لا بيد الخلق.

ثانياً: ان الغرض من نصب الائمة هداية الناس الى العدل.

ثالثاً: ان الشرط لمن يتولى لهذا المنصب هو الصبر على اليقين.

ثم ان المقصود من الهداية والعدل تطبيق ما جاء به الكتاب والسنة في جميع الشؤون الفكرية والعملية والاخلاقية.

قال تعالى في آية اخرى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2] ومن الواضح ان الامامة الداعية الى الكتاب والسنة يعتبر فيه ان يكون عالما بهما محيطا بإسرارهما، وان يكون عاملا بهما.

كما قال عزوجل: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ والا فلا يكون داعيا اليهما، بل يكون داعيا الى نفسه. ثم ان الادلة القطعية من العقل والنقل قد دلت على ان المصاديق التامة للائمة الذين يأتون بأمر الله تعالى هم الائمة من اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وهكذا ورد التفسير، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الامر لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3].

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) الرعد: ٧.

فإنه ﷺ قال: «انا المنذر وأومأ الى منكب علي فقال: انت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي». وقد اخرج هذا الحديث كبار الحفاظ من اهل السنة من محدثين ومفسرين كعبد الله بن احمد في مسند ابيه، وابن ابي حاتم، والطبراني، والضياء المقدسي، وأبي نعيم الاصفهاني، والحاكم النيسابوري، وابن عساكر الدمشقي، وجلال الدين السيوطي.. وغيرهم.

وقد صححه غير واحد منهم، وقال الحافظ الهيثمي في كتاب مجمع الزوائد: رجال المسند ثقات، وتجد الحديث المذكور بذيل الآية المباركة في كتب الائمة المفسرين مثل الطبري والثعلبي والرازي وابن كثير. وغيرهم.

وهذا الحديث كما يفسر الآية المذكورة كذلك يفسر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

فالبلاغ والانذار مهمة الرسول ﷺ، ولذا جاء بصيغة الحصر برسول الله ﷺ في غير آية من القران الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٤]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلَاغُ﴾[٥].

اما الهداية فهي مهمة، ان الهداية بمعناها العام المطلق كما تقتضي العلم تقتضي العصمة، ولا معصوم بعد النبي ﷺ الا الائمة من اهل البيت عليهم السلام، ولذا جعل الله تبارك وتعالى حفظ الاسلام والهداية الى معالمه ومبادئه وتطبيق العدالة في الارض بعهدة الائمة الطاهرين، ولذلك نصبهم وامر بالتمسك بهم والتلقي منهم والانقياد لهم في احاديث كثيرة ثابتة، كحديث الثقلين الذي يدل بالفاظه المتعددة على هذه الحقيقة، كقوله ﷺ: «اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي».

هذا الحديث المتواتر الدال على عصمة اهل البيت وافضليتهم من غيرهم، والدال ايضا بغنيمة حديثين متواترين آخرين وبقطع النظر عن سائر الادلة أحدهم قوله ﷺ: «الائمة بعدي اثنا عشر»، والاخر: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية»، على ان الارض لا تخلو من امام منهم الى قيام الساعة، وان المهدي هو الامام الثاني عشر منهم وانه حي موجود، ولكن الذي حدث ان بعض الصحابة قال: (حسبنا كتاب الله)، فعزلت العترة عن قيادة الامة، وحرمة الامة من هداية العترة، لقد خسرت الامة اكبر خسارة بعزل العترة عن قيادتها وتوالت عليها الويلات حتى وصل الامر الى حكم يزيد بن معاوية، وهو مشهود له من الصحابة وكبار التابعين بالفسق والفجور وجميع الموبقات.

(٤) فاطر: ٢٣.

(٥) الشورى: ٤٨.

وليت شعري اكان القائل: (حسبنا كتاب الله) يعلم بأن الامر سيصل بعد سنوات الى يزيد وانه سيقول: (لا خبر جاء ولا وحي نزل)، فكادت الامة ان تخسر الكتاب والعترة معا، ولا احد اولى من ائمة الهدى بأن يثبتوا على مبادئ الاسلام النبوية ويدعو الائمة للثبات عليها؟

هذا امير المؤمنين والامامان الحسنان (صلوات الله عليهم) لما رأوا الانحرافات، فثبتوا في القول والعمل وبينوا للمسلمين وجه الحق ودعوهم للثبات، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾(٦).

وقد بدأ الامام الحسين عليه السلام مواجهته الصريحة لمعاوية لما اراد ان ينصب ابنه يزيد -كما ذكر المؤرخون- وكان مما قال له لما اجتمع به: «هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس انوار السراج... وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتمالـه وسياسته لامة محمد صلى الله عليه وآله، تريد ان توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوبا او تنعت غائبا او تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص. وقد دل يزيد من نفسه على موقع رايه.. ودع عنك ما تحاول، فما اغناك ان تلقى الله من وزر هذا الخلق لأكثر مما انت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص».

هذا هو الثبات على المبدأ، وهداية الناس الى المبدأ، فقد قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا**﴾(٧).

ولا عجب في ذلك فالحسين عليه السلام من ائمة الهدى الذين قال الله عنهم ﴿**جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾.

ولقد كانت حركة الامام الحسين عليه السلام حركة إلهية والشواهد على ذلك كثيرة جدا. ومن ذلك انه قال لشيخ لقيه في الطريق فقال له انشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدموا الا على الاسنة وحد السيوف.

قال له إمامنا عليه السلام: «يا عبدالله ليس يخفى

(٦) الأنفال: ١٢.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

علينا الراي، وان الله تعالى لا يغلب على أمره».

لقد دعا الامام الحسين عليه السلام الى طاعة الله وطاعة رسوله، فكان نهجه تفسيرا عمليا لقوله تعالى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٨].

وكان رسول الله قد اخبر بما قدر الله للإمام للحسين عليه السلام، واخبر امته بذلك، وتكرم عليه في حياته فرضي الامام بقضاء الله تعالى وقدره وقدم روحه وأعز اولاده واخوته واصحابه فداء طاعة لربه عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام: «رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين، لم تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني رحلٌ مصبِّحا، ان شاء الله تعالى». فالحمد لله الذي شرفنا بأئمة يحفظون دين الله، ويهدون بأمر الله حتى لو كلفهم ذلك ارواحهم الغالية.

ثم ان التابعين للحسين عليه السلام هم اهل الثبات على الحق والتضحية من اجل مبادئ الاسلام، فقال عليه السلام: «يا أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى منكم سلطاناً جائرا مستحلا لحرمات الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يؤثر عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله تعالى ان يدخله مدخله الا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله. وانا احق من غيري..».

للمؤمنين اسوة بالإمام الحسين عليه السلام في حفظ القرآن والاخذ به والعمل بالفرائض والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه الظالم بحسب الموازين الشرعية، فيا اهل الايمان، الله الله في القرآن، الله الله في احكام الاسلام، الله الله في سنن النبي، الله الله في تعاليم اهل البيت، الله الله في الشعائر الحسينية وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

(٨) الحشر: ٧.

سياسة آل البيت عليهم السلام بعد الطف

السيد زهير الاعرجي

كانت سياسة آل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف مبنية على اساسين هما: كشف الحقائق وإرشاد الناس، وتصدى لذلك ثلة من آل محمد صلى الله عليه وآله: الإمام زين العابدين عليه السلام وثلاث نساء هنّ: عمتاه: زينب بنت علي عليها السلام وأم كلثوم بنت علي عليها السلام واخته: فاطمة الصغرى بنت الحسين عليها السلام.

ويمكننا تلخيص تلك السياسة بالنقاط التالية:

١. إدانة الناس على تخاذلهم وغدرهم.

٢. تذكيرهم برسول الله صلى الله عليه وآله والإسلام والقرآن وعلاقة أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله ورسالة السماء.

٣. مواجهة الأمراء الطغاة بصلابة الحق وقوته ومقارعة الحجة بالحجة.

وكانت تلك السياسة منسجمة ومتماسكة وذات أهداف محددة وكانت موجهة إلى جمهور المسلمين الذين خذلوا أهل البيت عليهم السلام في مبادئهم واهدافهم.

ففي الكوفة قام أهل البيت عليهم السلام بوظيفتهم الاستثنائية تلك بنوعية الناس عبر خطابات في غاية البلاغة والفصاحة ولها مدلولات عميقة في حياة المسلمين، والظاهر ان خطب أهل البيت عليهم السلام قد تمت في الكوفة خلال فترة تبديل أو استراحة الحرس المكلّف بالأسرى قبل ان ينقلوا إلى قصر الإمارة حيث عبيد الله بن زياد أمير الكوفة من قبل يزيد بن معاوية. فاستثمر زين العابدين عليه السلام وأم كلثوم بنت علي وفاطمة بنت الحسين وزينب بنت علي عليها السلام تلك الفترة فخاطبوا الناس.

والكوفة ليست مدينة غريبة على أهل البيت عليهم السلام فقد عاشوا فيها في منتصف العقد الثالث من الهجرة أي قبل حوالي نيف وعشرين سنة من واقعة الطف.

خطابات آل البيت عليهم السلام:

أولاً: هذه زينب بنت علي عليها السلام لم ير خفرةً[1]

(١) خفر الإنسان خفراً فهو خفر (من باب تعب) والأسم الخفارة: الحياء والوقار (المصباح المنير - مادة خفر، ج ١، ص ٢١٣.

أنطق منها تخطب الناس في الكوفة فتقول: «الحمد لله والصلاة على أبي: محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعد.

يا أهل الكوفة. يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والصدر الشنف وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنّى ترحضون.

قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأي كريمة له أبرزتم وأي دمٍ له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم. لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو كملئ السماء. أفعجبتم إن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثأر وإن ربكم لبالمرصاد».

وروى المؤرخون ان الناس كانوا يومئذٍ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم على أفواههم. ويبكي أحدهم حتى اخضلّت لحيته وهو يقول: (بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسائكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزى)[٢].

ثانياً: فاطمة الصغرى بنت الحسين عليها السلام خطبت فقالت: «الحمد لله عدد الرمل والحصا وزنة العرش إلى الثرى أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وإن أولاده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل[٣] ولا ترات[٤].

اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك بالكذب أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام المسلوب حقه المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله فيه معشر مسلمة بألسنتهم تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قبضته إليك

(٢) اللهوف، ص ٨٦ - ٨٨.

(٣) الذحل: الثأر.

(٤) التراث: جمع ترة وهي ايضاً الثأر.

محمود النقيبة طيب العريكة معروف المناقب مشهور المذاهب لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً وحمدت مناقبه كبيراً ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه وآله حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم. أما بعد:

يا أهل الكوفة. يا أهل المكر والغدر والخيلاء. فإنا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا فجعل بلاءنا حسناً وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً فكذبتمونا وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً كأننا أولاد ترك وكابل كما قتلتم جدنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم قرّت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم على افتراء الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين.

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل ان نبرئها؛ إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور.

تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم وأية نفس نزعت إلى قتالنا أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا، والله قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون، فتباً لكم يا أهل الكوفة أي تراث لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وببنيه وعترته الطيبين الأخيار فافتخر بذلك مفتخر فقال: نحن قتلنا علياً وبني علي بسيوف هندية ورماح وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله وأذهب عنهم الرجس فاكظم وأقع كما أقعى أبوك قائماً لكل امرئ ما كسب وما قدمت يداه. أحسدتمونا - ويلكم - على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إن جاش دهراً بحورنا - وبحرك ساج ما يواري الدعامصا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن لم يجعل

الله لـه نـوراً فـما لـه مـن نـور»[٥].

ثالثـاً: أم كلثـوم بنـت عـلي عليها السلام خطبـت أهـل الكوفـة مـن وراء كلتهـا فقالـت: «يـا أهـل الكوفـة سـوأة لكـم مـا لكـم خذلتـم حسـيناً وقتلتمـوه وانتهبتـم أموالـه وورثتمـوه وسـبيتم نسـاءه ونكبتمـوه فتبـاً لكـم وسـحقاً. ويلكـم أتـدرون أي دواه دهتكـم وأي وزر عـلى ظهوركـم حملتـم وأي دمـاء سـفكتموها وأي كريمـة أصبتموهـا وأي صبيـة سـلبتموها وأي أمـوال انتهبتموهـا.

قتلتـم خـير رجـالات بعـد النبـي صلى الله عليه وآله ونزعـت الرحمـة مـن قلوبكـم ألا إن حـزب الله هـم الفائـزون وحـزب الشـيطان هـم الخـاسرون» ثـم قالـت[٦]: «قتلتـم أخـي صـبراً فويـل لامكـم سـتجزون نـاراً حرهـا يتوقـد، سـفكتم دمـاء حـرم الله سـفكها وحرمهـا القـرآن ثـم محمـد، ألا فابـشروا بالنـار إنكـم غـداً لفـي سـقر حقـاً يقينـاً تخلـدوا، وإني لأبكـي في حيـاتي عـلى أخـي، عـلى خـير مـن بعـد النبـي سـيولد، بدمـع عزيـز مسـتهل مكفكـف عـلى الخـد منـي دائـماً ليـس يحمـد».

رابعـاً: ثـم نـادى زيـن العابديـن عليه السلام بالنـاس بعـد أن حمـد الله وأثنـى عليـه: «أيهـا النـاس مـن عرفني فقـد عرفني ومـن لم يعرفني فأنـا عـلي بـن الحسـين بـن عـلي أبي طالـب. أنـا ابـن مـن انتهكـت حرمتـه وسـلبت نعمتـه وانتهـب مالـه وسـبي عيالـه. أنـا ابـن المذبـوح بشـط الفـرات مـن غـير ذحـل ولا تـرات. أنـا ابـن مـن قتـل صـبراً وكفـى بذلـك فخـراً. أيهـا النـاس ناشـدتكم الله هـل تعلمـون أنكـم كتبتـم الى أبي وخدعتمـوه وأعطيتمـوه مـن أنفسـكم العهـود والمواثيـق والبيعـة وقاتلتمـوه.

فتبّـاً لمـا قدمتـم لأنفسـكم وسـوأة لرأيكـم بأيـة عـين تنظـرون الى رسـول الله صلى الله عليه وآله إذ يقـول لكـم: قتلتـم عـترتي وانتهكتـم حرمتـي فلسـتم مـن أمتـي... رحـم الله امـرأً قبـل نصيحتـي وحفـظ وصيتـي في الله وفي رسـوله وفي أهـل بيتـه فـإن لنـا في رسـول الله صلى الله عليه وآله أسـوة حسـنة».

فصمتـوا وهـم يسـتمعون إلى هـذا القـول العطر، ثـم قالـوا: (نحـن يـا بـن رسـول الله سـامعون مطيعـون حافظـون لذمامـك غـير زاهديـن فيـك ولا راغبـين عنـك فمرنـا بأمـرك يرحمـك الله فأنـا حـرب لحربـك وسـلم لسـلمك نـبرأ مـن ظلمـك وظلمنـا).

وقولهـم هـذا لا يمكـن أن يفـسر إلا بأحـد تفسـيرين:

إمـا ان الحضـور كان مـن الذيـن لم يدخلـوا الحـرب مـع الحسـين عليه السلام ولم تصلهـم أخبـار الحـرب إلا بوصـول السـبايا وهـو بعيـد؛ لأن جـواب السـجاد عليه السلام لهـم يكشـف عـن كونهـم مخادعـين ماكريـن.

وإمـا انهـم كانـوا يخادعـون السـجاد عليه السلام للتمويـه عـلى الموقـف الاسـلامي العـام، وهـذا

(٥) اللهوف: ص ٨٨ - ٩٠.

(٦) اللهوف: ص ٩١.

أقرب الى الصواب؛ فقد كانوا يحاولون التماس الأعذار على خذلهم ابن رسول الله ﷺ. وقد صدق الفرزدق حينما قال للحسين عليه السلام قبل الطف وهو يصف أهل الكوفة: يا بن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، ولو كانوا صادقين في قولهم: انا حرب لحربك وسلم لسلمك، لما تركوا الحسين عليه السلام وأهل بيته يقتلون بين ظهرانيهم قبل أيام قليلة.

فأجابهم الإمام زين العابدين عليه السلام: «هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم أتريدون ان تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل كلا ورب الراقصات[٧] فإن الجرح لما يندمل، قتل أبي بالأمس وأهل بيته ولم ينس ثكل رسول الله ﷺ وثكل أبي وبني أبي. إن وجده والله بين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصصه تجري في فراش صدري»[٨].

وهكذا عرض أهل البيت عليهم السلام على أهل الكوفة ما يرشدهم إلى آخرتهم. ولخطبة الإمام السجاد عليه السلام دلالات نعرضها عبر الكلمات التالية:

كشفت خطبة السجاد عليه السلام في الكوفة عن أمور أهمها:

١. انها ساهمت في كشف الحقائق التي حاول بنو أمية سترها، وأخطرها التقليل من أهمية العلاقة الرسالية والرحمية برسول الله ﷺ، ولذلك كان التأكيد على قوله عليه السلام: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا....

٢. شرح الوقائع التي وقعت في العاشر من محرم الحرام وكان محورها قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وهتك حرمة النبي ﷺ.

٣. الإدانة الواضحة لأولئك الذين دعوا الحسين عليه السلام الى العراق وتخلوا عنه وحاربوه ووصمهم بالغدر والمكر والخيانة.

وكان للسجاد عليه السلام كلامٌ قاله خلال أسر بني أمية له وهو: «أيها الناس إن كل صمت ليس فيه فكر فهو عي وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء ألا وأن الله تعالى أكرم أقواماً بآبائهم فحفظ الأبناء بالآباء لقوله تعالى: ﴿....**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**....﴾[٩] فأكرمهما، ونحن والله عترة رسول الله ﷺ فأكرمونا لأجل رسول الله لأن جدي رسول الله كان يقول في منبره: احفظوني في عترتي وأهل بيتي فمن حفظني حفظه الله ومن آذاني فعليه لعنة الله ألا لعنة الله على من آذاني فيهم حتى قالها ثلاث مرات، ونحن والله أهل بيت أذهب الله عنا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن ونحن والله أهل بيت اختار الله لنا الآخرة وزوي[١٠] عنا الدنيا ولذاتها ولم يمتعنا بلذاتها»[١١].

(٧) الراقصات: مطايا الحجيج.

(٨) مثير الأحزان لابن نما: ص ٨٩.

(٩) الكهف: ٨٢.

(١٠) زوي الشيء: نحاه.

(١١) ناسخ التواريخ – من أحواله عليه السلام: ج ٢، ص ٤٤.

ثقة الإسلام

محمد بن يعقوب الكليني (ت/ ٣٢٩هـ)

هو العمود القائم لبيت الإسلام الناهض.. وهو السراج المنير لفجر الاسلام الصادق الذي صنف المصنفات وقدم للأمة أعظم سفرٍ في الحديث.. ذلك السفر الذي ما انفكّ العلماء وحملة الحديث يستندون إليه في الفتيا والاستنباط.

هو ثقة الإسلام وشيخ المحدِّثين محمد ابن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، الرازي، البغدادي، صاحب كتاب «الكافي» أحد الكتب الأربعة عند الشيعة الإمامية.

أقوال العلماء فيه:

قال النجاشي: (محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني.. شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم، صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة).

و**قال الشيخ الطوسي:** (جليل القدر، عالم بالأخبار).

و **قال السيد بحر العلوم الطباطبائي:** (ثقة الاسلام شيخ المشايخ الأعلام ذكره أصحابنا وغيرهم واتفقوا على فضله وعظيم منزلته وقبره الآن مزار معروف بباب الجسر ببغداد وهو باب الكوفة).

نبذة من حياته:

كان من شيوخ الفقهاء وكبار العلماء، عارفاً بالأخبار والتواريخ والطبقات، ذا زهد وعبادة وتألّه، وقد انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر، عاش في عصر السفراء الأربعة للإمام المهدي عجل الله فرجه.

وروى عن طائفة من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ثمّ علا شأنه، ولمع نجمه، فصار شيخ الشيعة بالري، ثمّ نزل بغداد في أواخر عمره، وحدّث بها، وأكثر رواياته عن علي بن إبراهيم، ومحمد بن يحيى العطار، روى عنه: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، وأبو غالب الزراري أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان، وعلي بن أحمد بن موسى الدقّاق، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني، وأبو المفضل

الشيباني، ومحمد بن محمد بن عاصم الكليني، ومحمد بن علي ما جيلويه، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الله الصفواني، وغيرهم.

قال السيد الخوئي في معجمه:

إن السيد الطباطبائي بحر العلوم قال في رجاله: وقد علم من تاريخ وفاة هذا الشيخ [أي الكليني]رحمه الله أنه قد توفي بعد وفاة العسكري عليه السلام، بتسع وستين سنة، فإنه قبض عليه السلام سنة مائتين وستين، فالظاهر أنه (محمد بن يعقوب) أدرك تمام الغيبة الصغرى بل بعض أيام العسكري عليه السلام أيضا.

من آثاره:

صنّف أبو جعفر الكليني «الكافي» في عشرين سنة، وعدّة أحاديثه (١٦١٩٩) حديثاً، ويشتمل على ثلاثين كتاباً في الشرائع والأحكام والأوامر والنواهي والسنن والآداب والآثار، ما انفكّ العلماء وحملة الحديث يستندون إليه في الفتيا والاستنباط.

وله أيضاً: كتاب الردّ على القرامطة، وكتاب الرجال، وكتاب رسائل الأئمّة عليهم السلام، وكتاب تعبير الرؤيا، وكتاب ما قيل في الأئمة عليهم السَّلام من الشعر.. وغيرها.

وفاته:

توفّي ببغداد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: ثمان وعشرين، وصلّى عليه أبو قيراط محمد بن جعفر الحسيني، ودُفن في مقبرة باب الكوفة.

قال العلامة السيد هاشم البحراني في كتاب روضة العارفين:

حكى بعض الثقات من علمائنا المعاصرين أن بعض حكام بغداد رأى بناء قبر محمد بن يعقوب، فسأل عن البناء فقيل: قبر بعض الشيعة، فأمر بهدمه وحفر قبره، ورآه بكفنه لم يتغير، ومدفون معه آخر صغير بكفنه أيضا، فأمر بدفنه وبنى عليه قبة، فهو الآن قبر معروف مزار ومشهد - إنتهى - ثم قال رحمه الله:

والذي وجدته بخط بعض مشايخنا، وأظنه المحدث السيد نعمة الله الجزائري، هو أن السبب في ذلك أن بعض الحكام في بغداد لما رأى افتتان الناس بزيارة الائمة عليهم السلام، حمله التعصب على حفر قبر الامام الكاظم عليه السلام، وقال: إن كان كما يزعمون من فضله، فهو موجود في قبره، وإلا نمنع الناس من زيارة قبورهم، وقيل له: إن هنا رجلاً من علمائهم المشهورين، واسمه محمد بن يعقوب الكليني، وهو أعور، وهو من أقطاب علمائهم، فيكفيك الاعتبار بحفر قبره فأمر بحفر قبره، فوجدوه بهيئته كأنه قد دفن في تلك الساعة، فأمر ببناء قبة عظيمة عليه وتعظيمه، وصار مزارا مشهورا.[1]

(١) ينظر: معجم رجال الحديث: ج١٩، رقم الترجمة ١٢٠٦٧، وموسوعة طبقات الفقهاء: ج٤، ٤٧٨، وأعيان الشيعة: ج١٠، ٩٩.

يوم الشرف العلي..

أوراق

يوم تشرف بعلي.. وشهر علا صيته بمجيء علي.. وعام قد نال الشرف العلي بميلاد علي.. ولا أغالي إذا قلت بإن الكعبة قد تشرفت بأن ظمّت بين جدرانها ميلاد علي عليه السلام، فكيف لا وهو الذي قام بسيفه الإسلام، وبه أراد الله أن تبقى الكعبة قبلة الموحدين، وبه أراد الله أن يستمر اخضرار عود الدين حتى قال فيه نبينا محمد صلى الله عليه وآله:

> يا علي لا يعرفك إلّا الله وأنا
>
> وكما قال:
>
> ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين

أتت أمه فاطمة بنت أسد وهي على ضعف من الحمل، وقفت بين يدي ربها عند بيته المقدس تطلب شفاعته ويسره بوضع الوليد المنتظر، تعبت كثيرا من الوقوف وهي تناجي الحق الرحيم، حتى سمعت صوت انفراج حائط كعبة الرحمن، فأتاها إلهام ربها بالدخول فيها.

دخلت وهي على اطمئنان بأن الله لن يخذلها، حتى صدر النور باستهلال صوت الوليد علي، فاستبشر الكون في يوم الجمعة المباركة في اليوم الثالث عشر من رجب المعظم بعد أن مرّ ثلاثون عاما من قدوم ابرهة الى الكعبة؛ ليهدمها، ماذا عساني أن أقول؟ وإلى أين من سيرته أروح وأجول؟ وهل لي أن أعدد بفضائله؟ أم أن الجبل العظيم لا يصعده إلا القليل ممن هم أهله؟ ويا ليتني كنت أملك معشارا من ذلك، فأفوز والله فوزا عظيما، وكفاني بذلك فخرا وعزا.

ها أنا أقْدم على رجل وإنسان ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، عظيم عنوانه، وأعظم من ذاك مضمونه، حتى طفقت بين ان

أصول بيد تمسك ريشة جذّاء، وهي لا تقوى على أن تترجم البيان عن أمير العربية والبيان، أو أصبر على فقد كنز من جنة في طخية عمياء، لا عقل لمن يزهد بها.

لكنني سأجول بين أفنانه كالحيران، آخذا بطرف هذا وماسكا بطرف ذاك، فأنال على أقل تقدير شرف المحاولة والإقدام؛ لأن ذلك لا يضيع عند من هم معدن الكرم والجود والسخاء، ففضائل علي أعظم من أن تحصى، ومكارمه أكبر من أن تتلى بهذه العجالة، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

أجل، فعلي أول من أسلم من الرجال برسالة النبي صلى الله عليه وآله، وأول من ضحى بنفسه فداء للنبي عند المبيت في فراشه ليلة الهجرة، فما كان همه حين المنام إلّا نجاة النبي، وبعد أن أنجاه الله من الظالمين بقي أياما بمكة يقضي عن النبي صلى الله عليه وآله ما بقي في ذمته مع الناس من أمور، حتى هاجر مكة جهارا بمعية الفواطم الهاشميات، فاطمة الزهراء بضعة الرسول، وأمه فاطمة بنت أسد، حتى لحق به عدد من شبان قريش وفرسانها ليقتلوه، فما كان منه إلّا أن نازلهم نزالا لم يُرَ من قبل الموجودين نزالٌ مثله، فكان كالأسد إذا وثب وجلجل، فقتل أحدهم وولى الباقون مرعوبين، فكان بحق سيف الاسلام المأمول أن يُنْتَصرَ به.

وحقٌ كان الكفء الذي لا نظير له لفاطمة سيدة نساء العالمين، فتزوج النور من النور وأخرج الأنوار الساطعة، الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، ورابعهم المحسن الذي راح ضحية الجاهلية الجديدة التي حلت بثوبها الجديد من قادة الانقلاب المشين.

كان المقدم دائما في حروب النبي صلى الله عليه وآله، فقد أدى في معركة بدر الدور الأكبر بما قام به من قتل للأكابر من المشركين القريشيين، حيث إنه قتل تسعة من أعظم القادة، رافعا بذلك معنويات جيش المسلمين الذي كان لا يعادل ثلث عدد جيش الكافرين، مع فارق العدة العظيم، مثبطا في الوقت نفسه معنويات العدو الغاشم الظليم، أما دوره في أحد فلا كلام يجزي فضله، ويكفي بذلك أنه كان يد النبي التي بها يبطش، فحماه من القتل والمكيدة، بعد أن هرب الناس كلهم عن النبي إلا تسعة أفراد بطلهم علي، فكان كثيراً ما يردد النبي صلى الله عليه وآله قوله: «يا علي أكفني شر هذه الكتيبة، وتلك.. وهذه..، حتى نجا الرسول.. وهذا ما كان يهم علياً».

أما الخندق فكان الوقع رهيباً جداً، فالأحزاب تتهيَّأ لتعبر الخندق وهم بالألوف المؤلفة، واليهود من ورائهم قد خانوا العهد، فكان موقفا رهيبا لم يُبق للأكثرية من المسلمين أملاً في النجاة، حتى عبر عمر بن ود العامري الذي تهابه الجيوش لا الأفراد، وأخذ يجول ويزمجر بالمسلمين ويستهزئ بهم طالباً أن يخرج

إليه أحدهم ليعجل به الى الجنة استهزاءً، فلم يجبه أحد سوى علي، وبعد التكرار ويأس النبيﷺ من أن يخرج له غير علي سمح له، فكان ما كان منه، إذ ضربه ضربة لم يثن لها، فكانت أن فاقت إيمان الثقلين على حد قول النبي، فصاح جبريل لذلك من السماء: كما شارك مع النبي بقية حروبه وغزواته إلّا

> لا فتى إلا علي
> ولا سيف إلا ذو الفقار

مؤتة، حينما تركه النبي لمهمة أكبر خشية من أهل الغدر والنفاق على المدينة التي ستُترك خالية من معظم جيشها، وقبل أن يخرج النبي منها قال لعلي أمام الناس جميعا قولته الشهيرة:

> أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي

الله أكبر على هذا الفضل العظيم.

مرت السنين بسرعه حتى جاءت حجة الوداع، التي ودع بها النبي مكة، وراح يحث الناس على ما كان يخشاه ويتوقعه، وهو عدم التفافهم حول أهل بيتهعليهم السلام والغدر بهم، وحدث ما يخشى فبخس الامام حقه في خلافة الرسول، وفوق ذاك آذوه في ظلم زوجته فاطمة، حتى وصل الأمر أن حصروها بين الباب والحائط فأدى ذلك أن سقط الجنين من بطنها، فساءت حالها ومرضت جراء ذلك العمل الجبان، مع كل ذلك لم يسل علي سيفاً التزاماً منه بوصية النبي وحفاظا على الاسلام من أن يدرس الى الأبد.

صبر على كل ذلك الألم، وذاق طعم المر.. فعاش أصعب المحن، حتى حكم الناس بالإسلام المحمدي الأصيل من أرض كوفان العراق، ليعطي الاسلام قيمته الحقيقية، فأعاد ما استطاع أن يعيده من قيمه المسلوبة، نابذا ما أمكن من جاهلية للإسلام منسوبة، حتى شمر عن ساعديه لأجل العدالة التي هُدرت، واطلق لأسر الحرية التي في السجون قد قيّدت، وارجع مساواة الدين التي من الاسلام قد هُجرت، حتى قال فيه أهل الحق من غير الاسلام ما طفحت به الأقلام.. وجادت القرائح الماتحة من بحر علي وبلاغته وبيانه.

لقد جذبت شخصية الامام تلك العقول النيرة من المفكرين والكتاب والفنانين الذين

لا يمتّون للاسلام بصلة، أجل، فالفضائل والأخلاق والانسانية والعدالة والأدب والحكمة والفلسفة التي عُرفت عن علي كلها قد جعلت هؤلاء يكتبون عنه ما كتبوا، لا سيما المسيحيون منهم، كما كان لنهج البلاغة أثر كبير في ذلك الشغف والتأثير.

فهذا ألمع فلاسفة لبنان، جبران خليل جبران، تلا على الأشهاد قولة حق يراد بها الحق وكفى، فقال: فمن أعجب بها (أي أقوال نهج البلاغة) كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية، مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته، مات والصلاة بين شفتيه، مات وفي قلبه الشوق إلى ربّه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس أُناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى، مات قبل أن يبلّغ العالم رسالته كاملة وافية، غير أنّني أتمثّله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الدنيا، مات شأن جميع الأنبياء والباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم وإلى قوم ليسوا بقومهم، في زمن ليس بزمنهم، ولكنْ لربّك شأن في ذلك، وهو أعلم.

أما سليمان كتاني فذلك المولع به أيما ولع، حتى كاد المبغضون أن يتهموه بتأليه علي وعبادته، فهو قد افرد كتاباً في الامام يحكي به عن عظمته النفسية والاخلاقية والجسدية، يحكي به عن قيم سبقت الزمن بقرون عديدة، حتى وجدنا كثيرا من الغرب لا يصدقون أن منذ ذلك التاريخ يوجد انسان له هذه القيم التي فوق تنظيره لها طبقها على الواقع وعن كثب.

كما كتب عنه توماس كارليل في كتاب الأبطال، ذاكرا إياه بالذكر الجليل، مشيدا برحمته ورأفته، مادحا شجاعته التي فاقت الليوث كما وصف، ذاكرا عدله الذي رآه كل انسان عادل مثله، متعجبا من تعامله مع قاتله ابن ملجم حينما قال:

> إن أعش فأنا ولي دمي، وإن أمت فاضربوه ضربة، وإن تعفو أقرب للتقوى

ولو رمت معك في ذكر وتعداد أولئك الذين أنصفوا عليا بأخلاقه وحكمه وعلمه، وعدله وانسانيته وكل ماهو قيّم مما كان فيه وانصف، لألفت لك بذلك كتبا كثيرة.

فسلام على المسجى بأرض النجف يوم ولد، امتنانا من المنان على عباده، وسلام عليه يوم أخضِبَ شهيدا بدمه الزكي، وسلام عليه يوم يبعث حيا فنحيا بشفاعته ان شاء الله.

الرباط المقدس

الشيخ حسين الحلي

فضائل الأخلاق ورذائلها

الشيخ محمّد مهدي النراقي

علم النفس والاسلام

الدكتور محمود البستاني

أسلوب النبي في تربية الطفل

الشيخ محمّد تقي الفلسفي

الزوجة المثالية

السيد مهدي الصدر

قابلية النفس البشرية للتغير العبادي الإيجابي

الاستاذ يوسف مدن

الرباط المقدس

الشيخ حسين الحلي

الزواج: رباط مقدس جعله الله بين الزوجين لتنتظم به الحياة البشرية، وهو في الوقت نفسه ميثاق وشركة بين طرفين، ولكل شركة مقررات والتزامات تفرضها طبيعة ذلك التعهد الخارجي، لذلك كان لزاما على كل طرف أن يتقيد بما تقتضيه أصول هذا الميثاق، وتمليه عليه مقررات هذه الشركة الجديدة، فإن تم والتزم كل طرف بما فرض عليه فمعنى ذلك أنهما سينعمان بحياة سعيدة رغيدة، هانئة وخالية من المتاعب، وبعيدة عن الصعوبات.

أما الإخلال من أحد الجانبين بما يجب عليه فمعناه الإيذان بحياة شائكة معقدة يشوبها الصخب والضجيج وتحوطها المشاكل الاجتماعية.

والزواج وإن كان بالنظرة الأولى علقة جديدة بين زوجين.

إلا أن نتائجه في جميع الأحوال لا تقتصر عليها فحسب، بل تتعداها إلى حلقات أخرى كالبيت والأسرة والمجتمع، وما إلى ذلك.

لذلك كان من الواجب أن يحترم كل طرف ما تفرضه عليه حياته الجديدة من عهود لا بد لكل من الطرفين الالتزام بها، وقد تعرض الفقهاء لحقوق الزوجين كلاً منهما إزاء صاحبه.

علم

الدكتور محمود البستاني

النفس والاسلام

يُعنى (علم النفس) بسلوك الكائن الآدمي في شتى مجالات نشاطه، إلّا أن الزاوية التي يشدّد عليها من مجالات النشاط تنحصر في العملية التالية:

(الاستجابة) حيال (مثير) معين.

ولكي يتّضح المقصود من هذين المصطلحين (الاستجابة) و(المثير)، يحسن بنا أن نلتفت إلى المثال التالي:

عندما يسيء إلينا أحد الافراد، حينئذ سوف نواجهه بواحد من الافعال التالية:

١. أن نرد الاساءة بمثلها.

٢. أن نكظم غضبنا فنلتزم جانب الصمت.

٣. أن نردها بالاحسان اليه.

في مثل هذه الحالات، نواجه (مثيراً) وهو: الاساءة، أما الرد عليها فيمثّل (الاستجابة) حيال المثير المذكور، يستوي في ذلك أن تكون الاستجابة صمتاً أو إحساناً أو مقابلة بالمثل.

هذه العملية النفسية القائمة على (الاستجابة) قبال (المثيرات) تتناول جانبين من الشخصية:

١. الجانب الادراكي مثل: التفكير، التخيّل، التذكير، النسيان... الخ.

٢. الجانب الوجداني مثل: الارادة، الرغبة، الانفعال... الخ... فنحن حينما (نتذكّر) حادثة من الحوادث مثلاً، أو (ننسى) بعض تفصيلاتها، أو (نتخيّل) جانباً من ذكرياتها، في مثل هذه الحالة: يكون كل من (التذكّر) (والنسيان) و(التخيّل) متصلاً بالجانب (الادراكي) من الشخصية، أما في حالة تحسسنا بـ (الانشراح) أو (الانقباض) أو (اللامبالاة) من استحضار الحادثة المذكورة: فحينئذٍ يكون كل من (الانشراح) أو (الانقباض) أو (اللامبالاة) متصلاً بالجانب الوجداني من الشخصية.

وفي الحالتين، فإن العملية النفسية تقوم على (الاستجابة) حيال (مثير) معين، كما قلنا.

والسلوك الآدمي يظل حائماً بأكمله على العملية النفسية المذكورة، فيما تشكّل هذه العملية مادة علم النفس.

علم النفس -اذن- يُعنى بسلوك الكائن الآدمي من حيث كونه عملية نفسية، حيث يتكفّل هذا الضرب من المعرفة بتحديد مصادر العمليات النفسية، ومحاولة التحكم فيها (أي ضبطها وتعديلها).

وفي ضوء هاتين المهمتين (تحديد العمليات النفسية) (وتنظيمها) نحاول تقديم وجهة النظر الاسلامية مقارنة بوجهة النظر الارضية (أي وجهة نظر علماء النفس المنعزلين عن مبادئ السماء) بغية تحديد نقاط التلاقي بينهما في بعض الخطوط التي تومض بملاحظة صائبة أو تجربة محكمة ينتهي البحث الارضيّ اليها، أو تحديد المفارقات التي ينطوي البحث الارضي عليها في سائر اتجاهاته، علماً بأننا لا نجد أنفسنا ملزمين باصطناع طرائق البحث الارضي في تناول (المادة النفسية) أو اصطناع لغته أو الوقوف عند الدائرة التي يحصر موضوعاته فيها، بل يمكننا أن نتجاوز ذلك إلى تخوم علم الاجتماع والفلسفة مثلاً أو نختزل بعض موضوعاته حيناً آخر.

والسر في عدم التزامنا بمناهج البحث الارضي هو: أن البحث الارضي منفصل عن السماء في تفسيره للعمليات النفسية وتنظيمها.

إنه يتسلم الكائن الآدمي (بما أنه موجود فعلاً) لا بما انه كائن ابدعته السماء وأناطت به مهمة الخلافة في الارض، بحيث تكيّف العمليات النفسية وفقاً للمهمة المذكورة.

إن مفهوم (الوظيفة العبادية) أو (الخلافية) يظل الاساس الرئيس في تفسير العمليات النفسية وتنظيمها، ما دامت السماء تقرر بوضوح:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وهذا يعني أن (الخلافة) أو (العبادة) متمثلة في (الاحسن من العمل) هو الهدف الذي تنشده السماء في صياغتها للعمليات النفسية.

إن السماء تحدد مستويات السلوك بنمطيه: السوي والشاذ، وفقاً لما انتهت بحوث الارض إليه مؤخراً، إلا أنها تتجاوز ذلك إلى تحديد معايير أشد سعةً وشمولاً من مفاهيم الارض: ومع انبثاق مثل هذا الفارق بين معايير السماء والارض سيترتب بالضرورة فارق بين تصورهما للعمليات النفسية وتنظيمها، ومن ثم يترتب على ذلك -في ميدان البحث العلمي- فارق بينهما من حيث الموضوع والمنهج واللغة.

الزوجة المثالية

السيد مهدي الصدر

الزوجة المثالية: هي المتحلية بالإيمان، والعفاف، وكرم الأصل، وجمال الخَلق والخُلق، وحسن العشرة مع زوجها، وقد صورت نصوص أهل البيت عليهم السلام خصائص النساء، وصفاتهن الكريمة والذميمة، لتكون علامة فارقة بين الزوجة المثالية وغيرها.

عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال: «إن خير نسائكم الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم تبذل كتبذل الرجل».

ثم قال: «ألا أخبركم بشرار نسائكم؟ الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود، التي لا تورع من قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها، الحصان معه إذا حضر، لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، وإذا خلا بها بعلها تمنعت منه، كما تمنع الصعبة من ركوبها، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تزوج امرأة لا يتزوجها الا لجمالها لم ير فيها ما يحب، ومن تزوجها لمالها لا يتزوجها الا له وكله الله إليه، فعليكم بذات الدين»[3]، وقام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً فقال: «أيها الناس، إياكم وخضراء الدمن». قيل يا رسول الله: وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»[4].

وقد نهى الحديث عن تزوّج المرأة الوضيئة الحسناء إذا كانت من أسرة مغموزة في عفتها ونجابتها.

---

(١) الوافي: ج ١٢، ص ١٤، عن الكافي والتهذيب.

(٢) الوافي: ج ١٢، ص ١٥، عن الكافي والفقيه.

(٣) الوافي: ج ١٢، ص ١٣، عن التهذيب.

(٤) الوافي: ج ١٢، ص ١٢، عن الكافي والفقيه.

فضائل الأخلاق ورذائلها

الشيخ
محمد مهدي النراقي

فضائل الأخلاق من المنجيات الموصلة إلى السعادة الأبدية، ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية، فالتخلي عن الثانية والتحلي بالأولى من أهم الواجبات وللوصول إلى الحياة الحقيقية بدونهما من المحالات.

فيجب على كل عاقل أن يجتهد في اكتساب فضائل الأخلاق التي هي الأوساط المثبتة من صاحب الشريعة والاجتناب عن رذائلها التي هي الأطراف، ولو قصر أدركته الهلاكة الأبدية، إذ كما أن الجنين لو خرج عن طاعة ملك الأرحام المتوسط في الخلق لم يخرج إلى الدنيا سويا سميعا بصيرا ناطقا، كذلك من خرج عن طاعة نبي الأحكام المتوسط في الخلق لم يخرج إلى عالم الآخرة كذلك، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا.

ثم ما لم تحصل التخلية لم تحصل التحلية ولم تستعد النفس للفيوضات القدسية، كما أن المرآة ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها، والبدن ما لم تزل عنه العلة لم تتصور له إفاضة الصحة، والثوب ما

لم ينقَ عن الأوساخ لم يقبل لونا من الألوان، فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكبر والحسد والرياء، وطلب الرياسة والعلى وإرادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد، وأي فائدة في تزيين الظواهر مع إهمال البواطن.

ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة، أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم، أو كرجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فأخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى أصله وينبت، فإن الأخلاق المذمومة في القلب هي مغارس المعاصي، فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهرة، أو كمريض به جرب وقد أمر بالطلاء ليزيل ما على ظهره ويشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك الدواء متناولا ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب يتفجر من المادة التي في الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق وتحلت بمعاليها على الترتيب العملي استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب، ولم يبقَ لشدة القرب بينهما حجاب، فترتسم فيها صور الموجودات على ما هي عليها، على سبيل الكلمة، أي بحدودها ولوازمها الذاتية لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئية، لعدم تناهيها، وإن علمت في ضمن الكليات لعدم خروجها عنها، وحينئذ يصير موجودا تاما أبدي الوجود سرمدي البقاء، فائزا بالرتبة العليا، والسعادة القصوى، قابلا للخلافة الإلهية، والرئاسة المعنوية فيصل إلى اللذات الحقيقية، والابتهاجات العقلية التي ما رأتها عيون الأعيان، ولم تتصورها عوالي الأذهان.

أسلوب النبي في تربية الطفل

الشيخ محمد تقي الفلسفي

لقد عمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله -مضافاً إلى توصية أتباعه بالاهتمام بتربية الأطفال وبذل العناية البالغة بإحياء الشخصية فيهم- على تطبيق جميع النكات والدقائق اللازمة بالنسبة إلى أولاده، فقد بعث فيهم الشخصية الكاملة منذ الصغر، لقد كان صلى الله عليه وآله يراقب أطفاله منذ الأيام الأولى للولادة، فالرضاع، فالأدوار الأخرى خطوة خطوة، ويرشدهم إلى الفضائل العليا والقيم المثلى، يحترمهم ويكرمهم حسب ما يليق بهم من درجة تكاملهم الروحي، وأهم من ذلك أنه كان لا يقصر اهتمامه على اطفاله فقط، بل كان يهتم بتربية أطفال الآخرين أيضاً، فقد كان -في الواقع- مربياً عظيماً وأباً عطوفاً لأطفال المسلمين أيضاً، وكان يسعى لإحياء الشخصية الفاضلة فيهم قدر المستطاع وعلى سبيل الشاهد نذكر نماذج من سلوكه صلى الله عليه وآله في تربية أولاده وأولاد المسلمين أيضاً.

روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب - مرضعة الحسين عليه السلام - قالت: «أخذ مني رسول الله صلى الله عليه وآله حسيناً أيام رضاعه فحمله، فأراق ماءً على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى، فقال صلى الله عليه وآله: مهلاً يا أم الفضل، إن هذه الاراقة الماءُ يطهرها، فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين؟»[1].

إن مرضعة الحسين عليه السلام ترى في البلل الذي احدثه على ثوب جده - شأنه في ذلك شأن سائر الأطفال - عملاً منافياً، ولذلك فهي تأخذه من يد رسول الله صلى الله عليه وآله بعنف في حين أن ذلك يخالف سلوك النبي صلى الله عليه وآله مع الأطفال، ومع فلذة كبده الحسين بصورة خاصة.

فالطفل الرضيع يدرك العطف والحنان، كما يدرك الحدة والغلظة بالرغم من ضعف روحه وجسده، ولذلك فهو يرتاح للحنان ويتألم من الغلظة والخشونة. ان الآثار التي تتركها خشونة المربي في قلب الطفل وخيمة جداً بحيث أنها تؤدي إلى تحقيره وتحطيم شخصيته، وإن إزالة هذه الحالة النفسية من الصعوبة بمكان، ولذلك فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول لمرضعة الحسين عليه السلام: إن ثوبي يطهره الماء، ولكن أي شيء يزيل غبار الكدر وعقدة الحقارة من قلب ولدي؟

---

(١) هدية الأحباب: ص ١٧٦.

قابلية النفس البشرية للتغير العبادي الإيجابي

الاستاذ يوسف مدن

حين نتجه الى أنفسنا نبحث عن طبيعتها نجد تركيباً ثنائياً لها، خلافاً لطبيعة البهائم والملائكة، فالتركيب الآدمي يتجاذبه استعدادان أحدهما للخير والآخر للشر، كما تخضع النفس الإنسانية في حركتها لدوافع الشهوة أو تنقاد لضوابط العقل المعرفية والأخلاقية، ودور الإنسان هو تكوين نظام متوازن يضبط العلاقة بين القوة الجاذبة والقوة الطاردة، ويحفظ لشخصيته حركتها الطبيعية واستقامتها، وهذا ما أراده المشرع التربوي الاسلامي من مشروعه الحضاري.

إن النفس الإنسانية تنطوي على طبيعة مزدوجة تقبل الخير والشر، فكلاهما كامن في تركيبتها الداخلية، وإن ظهور أحدهما في سلوك الإنسان أو ضموره يتوقف على توجيه فاعل من الأفراد أو تدخل من المحيطين به في البيئة والمحيط الاجتماعي سواء كان هذا التوجيه صحيحاً أم خاطئاً.

فإذا تركزت جهود وتدريبات المربي على تنمية عنصر الخير فالمتوقع نمو هذا العنصر وبروزه في عادات السلوك العبادية السوية التي تكون موضع قبول الله سبحانه، أما إذا أراد المربون -متعمدين أو غير متعمدين- تربية الشخصية البشرية على أفكار واتجاهات وقيم وعادات خاطئة فإن كوامن الشر ستكون واضحة في حركة الذات الإنسانية، فالعادة طبيعة ثانية كما تقول الأحاديث الشريفة، إذ يؤدي التدريب المتواصل الى تكوين خاطئ للأفكار

والاتجاهات والعادات، وتكون من القوة بسبب هذا التدريب أشبه بسلوك فطري يصعب تعديله، بحيث يحتاج الى جهد ضخم من التوجيه الهادف والفعال لإزالته، فإذا رسخت أفكار معينة واستقرت عادات ما، كسبت قوة الطبع في كيان الذات وأصبحت كأنها جزء أصيل من الفطرة.

ولا يعني بالتأكيد استحالة تغيير ما رسخ من أفكار وعادات، وإنما يصعب تعديله فقط، وتحتاج الى جهد كبير وفترة أطول حتى يتم إحداث التعديل في السلوك، وهكذا تستجيب طبيعتنا وتركيبتنا الآدمية لكوامن الخير والشر وفق توجيهاتنا -نحن البشر- صحيحة أم خاطئة، ويكون سلوكنا وأفكارنا ومشاعرنا صدى لهذه التوجيهات ومرآة تعكس ما تنطوي عليه تركيبتنا الإنسانية من ثنائية الخير والشر.

وقد شهدت آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأقوال وكلمات المعصومين من أئمة أهل البيت عليهم السلام على وجود قابلية ثنائية داخلية للخير والشر في كياننا الإنساني، وتقع المسؤولية الكاملة على الفرد في اختيار أفعاله وأعماله التكليفية، وهي مسؤولية يترتب عنها في نظر المشرّع التربوي الإسلامي جزاء إما إثابة أو عقوبة.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2].. يعني إما نجد وطريق الخير أو نجد وطريق الشر. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[4]. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[5].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم»[6].

فالنفس البشرية بمقتضى النصوص السابقة مجبولة على طبيعة مزدوجة تتقابل فيها أفعال الخير مع أفعال الشر، فكما هي قادرة على اختيار أفعال الكذب والبخل والتكبر وكل أنماط السلوك العصابي، فهي

(١) الشمس: ٧ - ١٠.

(٢) البلد: ١٠.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) الليل: ٥ - ١٠.

(٥) الزلزلة: ٧.

(٦) الوسائل: باب ٩، ج٢، جهاد النفس.

كذلك مستعدة لممارسة أفعال الصدق والكرم والتواضع وكل فعل خيّر وسوي.

ورغم تميز الطبيعة البشرية بثنائيتها المتقابلة، إلا أننا لا نولَد أشراراً وبأفعال مريضة، بل نولَد مزودين (بقابلية وراثية) لفعل هذا السلوك أو ذاك، ويترك تحقيق الأفعال في عالم الواقع للتنشئة الاجتماعية ونقلها من قابليتها الوراثية الى الواقع والتحقق سواء كانت هذه الأفعال خيرة أو شريرة، بيد أن الأفراد يمكنهم الانتقال من سلوك ما إلى سلوك مضاد، ومن هنا يدعونا المشرع التربوي الإسلامي الى استثمار مرونة قابليتنا الوراثية وإصلاح ذواتنا بعناصر الخير والاستجابة لقوانين تغيير النفس من داخلها.

وإذا كان الناس في كل عصر يمكنهم تربية الحيوان على عادات سلوكية لفترة معينة ثم استبدالها -مرة ثانية- بعادات أخرى فإن الذات البشرية أكثر هذه المخلوقات استعداداً لتقبل الأضداد وتغيير عاداتها حتى تستقر على الوضع المقبول شرعاً واجتماعياً.

إن الإنسان يملك القدرة على حمل الحيوان على تغيير صفاته وترويض عاداته السلوكية من التوحش الى الأنس، والفرس من الجماح الى الانقياد، والكلب من الهراشة الى التأدب، فكيف يمكن في حق الإنسان[٧]؟

ونجد هذا التغير السلوكي واضحاً في المواقف والمشاهد الاستعراضية التي تؤديها بعض الحيوانات كالأسود والقردة وغيرهما في أعمال (السيرك)، حيث تدل هذه المشاهد على قدرة الإنسان على تعديل سلوك الحيوان، وهو كائن أقل منه ذكاء وإدراكاً وقابلية للتغيير في السلوك، فإذا كان حال الحيوان هكذا يحمل بين جنبيه قابلية تغيير السلوك بسلوك مضاد آخر، وتعديل عادة سلوكية خاطئة بعادة أخرى صحيحة فإن النفس الإنسانية لديها قابلية أكبر لقبول الأضداد مع الفارق الكبير بين إمكانات الحيوان وقدرات الإنسان.

إن النفس الإنسانية كما تثبت حقيقة أحوالها (حرون) لا تنقاد بسهولة لتغيير ما هو مألوف من السلوك خاصة إذا استحكمت فيها العادات مدة طويلة ورسخت في أعماقها بقوة، فكل عادة لها سلطان على النفس الإنسانية، ويمكن أن يؤثر طول المدة ورسوخ العادة في عملية التغيير النفسي وتأخر فترة علاج السلوك وتعديله، ويشهد الأخلاقيون بهذه الصعوبة، يقول الشيخ النراقي رحمه الله عن تحكم السلوك المألوف في النفس: (إذا استحكمت فيها الأخلاق تعسر قبول أضدادها)[٨].

(٧) جامع السعادات: ج١، ص٥٧.

(٨) المصدر السابق: ج١، ص٤٨.

ويريد الشيخ النراقي تنبيه المعالج النفسي المسلم على صعوبة تغيير العادات السيئة الى عادة سليمة مضادة أو حتى تغيير السلوك الحسن الى ضده، ومن هنا قيل في الحكمة الشريفة: «أصعب السياسات نقل العادات»[٩]، كما جاء عن الإمام علي عليه السلام.

لكن صعوبة التغيير لا يعني أبداً استحالته وعدم إمكانية تحقيقه في الحياة الإنسانية، فالتاريخ مليء بالدعوات الإصلاحية وبخاصة الإيمانية التي تمكنت من إحداث تغيير نفسي على مستوى الأفراد والجماعات وقبول النفس بوجه عام للأفكار والعادات والمشاعر المضادة.

وعلى كل حال يكلف قبول النفس لأضدادها من السلوك الجديد غير المألوف جهداً صعباً لا ترغب فيه بادئ الأمر؛ لأن طبيعة المعركة الجهادية تقتضي المواجهة المباشرة اليقظة مع العادات المطلوب تغييرها أو تعديلها، لكنها بالتدريج تبدأ في التعود على هذه المواجهة والاستجابة العادية للضغوط، فيكسبها هذا التعود قدرة على التفاعل الطبيعي السوي مع الاستجابات الجديدة المراد التدّرب عليها وتأصيلها في كيان الشخصية، ومن هنا تتحول خلايا الجهاز العصبي للإنسان بطريقة تدريجية الى خلايا منفتحة على الخير وأفعال الطاعات التي تحفظ للذات توازنها الداخل، لذلك قال الإمام علي كلمته الدقيقة الخالدة: «غيروا العادات تسهل عليكم الطاعات»[١٠][١١].

(٩) ميزان الحكمة: ج٧، ص١٢٥.

(١٠) ميزان الحكمة: ج٧، ص١٢٥.

(١١) العلاج النفسي وتعديل السلوك الانساني بطريقة الاضداد - يوسف مدن.

الألغاز
الشيخ محمّد حسن آل ياسين

إقتران الشمس بالقمر
المهندس محمّد علي الصائغ

مجلة العلم
إعداد أوراق

بنت الخلود
للسيد محمّد جمال الهاشمي

سؤال وجواب
الشيخ محمّد اسحاق الفياض

جفِّفِيْ أدمُعِي
السيد عبدالهادي الحكيم

الألغاز

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ليس الحديث عن المعمى والأحاجي والألغاز حديثاً عن تراث شعبي بحت كالأزياء والمقاييس والمكاييل وما كان على شاكلتها، بل إنما هو -بالإضافة إلى كونه تراثاً شعبياً- حديث عن فن رائع مفعم بالجمال، مليء بالطرافة، فيه للذهن متعة، وللفكر عمل وحركة، وللذوق تربية وصقل..

الألغاز:

اللغز: الكلام الملبس، وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازاً إذا ورى فيه وعرض ليخفى، والجمع ألغاز.

ويقول اللغويون أيضاً: (إن كلمة اللغز في أصلها تعني حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض ثم يحفر في جانب منها طريقاً ويحفر في الجانب الآخر طريقاً وكذلك في الجانب الثالث والرابع، فإذا طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر، ثم استعير لمعارض الكلام وملاحته).

وهكذا يكون اللغز -لغة- تعمية للمراد وإضماراً له على خلاف ما يظهر منه.

ويروي مؤرخو الشعر والأدب أن اللغز -بهذا المعنى- قديم وعريق في الأدب العربي، وأن قدمه يتجاوز عصر الإسلام إلى الجاهلية، حيث رووا: أن عبيد بن الأبرص لقي امرأ القيس فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد -والأوابد أساس اللغز وبمعناه- فقال: ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة ميتة أحيت بميتتها

درداء ما أنبتت سنا وأضراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك العشيرة تسقى في سنابلها

فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة

لا يستطيع لهن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها

روى بها من محول الأرض أيباسا

فقال عبيد:

ما مرتجات على هول مراكبها

يقطعن طول المدى سيراً وأمراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم... إلى آخره هذه المطارحات، وهي طويلة لا يتسع المجال لنقلها.

وسواء صحت نسبة هذه الأبيات لصاحبيها أم لم تصح، فإنها تدل على قدم هذا الفن وعراقته بحيث استطاع أحد الوضاعين -إن كانت موضوعة- أن ينسب مثل ذلك لهذين الشاعرين الجاهليين ولم ينكر عليه منكر بعدم وجود هذا اللون من الأدب في ذلك العصر.

ومن الأمثلة على قدم اللغز عند العرب ما أنشده أبو العباس أحمد بن يحيى:

ولقد رأيت مطية معكوسة

تمشي بكلكلها وتزجيها الصبا

ولقد رأيت سبيئة من أرضها

تسبي القلوب وما تنيب إلى هوى

ولقد رأيت الخيل وأشباهها

تثني معطفة إذا ما تجتلى

ولقد رأيت جواريا بمفازة

تجري بغير قوائم عند الجرا

ولقد رأيت غضيضة هركولة

رود الشباب غريزة عادت فتى

ولقد رأيت مكفرا ذا نعمة

جهدوه بالأعمال حتى قد ونى

قال أبو العباس: (المطية المعكوسة: سفينة. والسبيئة من أرضها: خمر، والخيل أو أشباهها عنى بها تصاوير في وسائد، وجواريا بمفازة عنى بهن السراب، والغضيضة الكرهولة: امرأة، وعادت: من العيادة، ومكفراً ذا نعمة عنى به السيف).

ويرى السيوطي أن الألغاز عند العرب أنواع: (ألغاز قصدتها العرب، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً، وهي نوعان: فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً، وكذلك ألَّف غيره، وإنما سموا هذا النوع (أبيات المعاني)؛ لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وهلة. وتارة يقع الألغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب).

وتطور اللغز على مر القرون حتى بلغ في العصور المتأخرة قمة أهميته، وكثر فيه التأليف والتصنيف، بل بلغ من أهميته إطلاق اسم العلم عليه، ونروي في أدناه نصاً من تلك النصوص المتأخرة التي عنيت بالحديث عن اللغز لنفهم منه تفصيل معناه بعد هذا التطور الكبير.

قال حاجي خليفة:

(هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفيفة في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح إليها، بشرط أن يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج، وبهذا يفترق عن المعمى؛ لأن المراد من الألفاظ اسم شيء من الإنسان وغيره وهو من فروع علم البيان؛ لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة كما سيأتي، والغرض فيهما الإخفاء وستر المراد، ولما كان إرادة الإخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت إليهما البلغاء حتى لم يعدوهما أيضاً من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العرضي. ثم هذا المدلول الخفي إن لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتهما على معان أُخَر بل ذوات موجودة يسمى (اللغز)... وأكثر مبادئ هذا العلم مأخوذة من تتبع كلام الملغزين... وبعضها أمور تخييلية تعتبرها الأذواق، ومسائلها راجعة إلى المناسبات الذوقية بين الدال والمدلول الخفي على وجه يقبلها الذهن السليم، ومنفعتها تقويم الأذهان وتشحيذها).

ومهما يكن من أمر اللغز ومعناه النظري وتطوره التاريخي فإن ما ورثناه من ألغاز السلف ينقسم من الناحية التطبيقية إلى ثلاثة أنحاء:

الأول: الألغاز الشعرية:

وليس لهذا النحو ضابط خاص أو أسلوب ثابت، بل ليس له من قاعدة سوى رغبة المتكلم في إخفاء مقصوده والتورية عنه، سواءً كانت هذه التورية بلغة الأعداد أو بواسطة

قلب اللفظ أو بعثرة حروفه - مع ذكرها - أو إعطاء صفات الشيء المقصود أو ما شاكل ذلك، ونورد فيما يلي من الشواهد ما يعطي صورة مصغرة عن هذا اللون من ألوان اللغز.

فمن التورية بالأعداد قول أبي نؤاس:

جنان حصلت قلبي

فما إن فيه من باقي

لها الثلثان من قلبي

وثلثا ثلثه الباقي

وثلثا ثلث ما يبقى

وثلث الثلث للساقي

فيبقى أسهم ست

تجزأ بين عشاقي

وقد فرض أبو نؤاس قلبه واحداً وثمانين جزءاً، الثلثان منها أربعة وخمسون، وثلثا ثلثه ثمانية عشر، وثلثا ثلث ما يبقى جزآن، وثلث الثلث جزء، فذلك خمسة وسبعون، وتبقى أسهم ستة هي التي تجزأ بين عشاقه.

ومن التورية لقلب حروف اللفظ قول الشاعر في (فرح):

يا خبيراً بالمعمى

خبرة تعلو وتصفو

هات قل لي أيما اسم

عندما يقلب حرف

وقول الآخر في (جوز):

ما اسم شيء يوليك نفعاً إذا ما

أنت أوليته فعالاً عسوفا

هو فرد الحروف إن جاء طرداً

وهو زوج إذا عكست الحروفا

وقول الثالث في (دملج):

الى النساء يلتجي

وعندهن يوجد

الجسم منه فضة

والقلب منه جلمد

وقول الرابع في (كمون):

يا أيها العطار أعرب لنا

عن اسم شيء قل في سومك

تراه بالعينين في يقظة

كما ترى بالقلب في نومك

ومن التورية ببعثرة الحروف -مع ذكرها- قول الشاعر في (يحيى):

ربع موسى مكرر كالطلاق

في اسم من شفني بذكر الفراق

غير أني رأيت آخر صبح

ثاني الاسم من أمير العراق

وقول الآخر في (موز):

ما اسم لشيء حسن شكله

تلقاه عند الناس موزونا

تراه معدودا فإن زدته

واواً ونوناً صار موزونا

وقول الآخر في (أحمد):

أوله ثالث تفاحة

وآخر التفاح ثانيه

ورابع الخمر له ثالث

وآخر الورود لباقيه

وقول الآخر أيضاً في (غزال):

اسم من قد هويته

ظاهر في حروفه

فإذا زال ربعه

زال باقي حروفه

ومن التورية بذكر صفات الاسم المراد قول الشاعر في (القلم):

وذي شحوب راكع ساجد

ودمعه من عينه جاري

ملازم الخمس لأوقاتها

معتكف في خدمة الباري

ويعني بالخمس الأنامل الخمس، والباري هو الذي يبري القلم.

وقول الآخر في (ساقية):

وجارية لولا الحوافر ما جرت

أشاهدها تجري وليس لها رجل

وترضع أطفالاً ولا هي أمهم

وليس لها ثدي وليس لها بعل

وقول الآخر في (الميزان):

وقاضي قضاة يفصل الحكم ساكتا

وبالحق يقضي لا يبوح فينطق

قضى بلسان لا يميل وإن يمل

على أحد الخصمين فهو مصدق

الثاني: الملفق:

وهو -كما يستشف من اسمه- عملية تلفيق وتغيير تجرى على حروف الكلمة المقصود تعميتها بحيث يقدم المتأخر منها ويؤخر المتقدم - مع المحافظة على نصوصها بلا تلاعب وحذف-، وبذلك يصعب الاهتداء إلى الاسم المطلوب إلا بعد تفكير وتأمل وتقليب مستمر لتلك الحروف.

وشروطه كما ترشدنا اليه موارد الاستعمال:

١. أن يكون اسماً لا فعلاً ولا حرفاً، ويتساوى فيه أن يكون اسم إنسان أو حيوان أو نبات أو أي اسم آخر، كما يتساوى فيه المفرد والمركب، والواحد والجمع.

٢. أن لا يكون مضافاً إلى ضمير ولا محلى بالألف واللام، ومثاله:

لو أردنا الألغاز بكلمة (عراق) مثلاً جعلنا بدلاً عنها كلمة (قارع)، ثم طلبنا من السامع أن يصل من طريق هذه الكلمة الملفقة إلى الاسم المقصود، وواضح أن حروف (عراق) هي حروف (قارع) بالضبط، ولكن التغيير الذي طرأ عليها جعل الإنسان بحاجة إلى التفكير والتأمل ليصل إلى الحل الصحيح.

وهكذا الأمر في كلمة (يسرك) التي نصل بواسطتها بعد التغيير والتبديل إلى الاسم

المطلـوب (كـرسي).

ومثل ذلك أيضاً:

ألماس – ونقصد به: إسلام.

مروع – ونقصد به: عمرو.

مسائل الرد – ونقصد به: دار السلام.

حكمهم البشع – ونقصد به: محكمة الشعب.

وعلى هذا النحو يطرد القياس.

الثالث: الكلمات المتقاطعة:

وهي لعبة شائعة بلغ من شيوعها وانتشارها أن كثيراً من الصحف اليومية والمجلات الدورية قد خصصت لها ركناً ثابتاً فيها، وبالنظر إلى ما حظيت به من شهرة ووضوح أمر لم نجد حاجة إلى التعرض لها بالشرح والتفصيل.

ولكن الشيء الذي يجب التنبيه عليه أن هذه اللعبة الشائعة مشتقة من لعبة شيقة كانت تستعمل سابقاً باعتبارها لوناً من ألوان اللغز، وهي عبارة عن ذكر حروف الكلمة المعماة- وقد لا يذكر بعضها عدد الحروف- وأرداف ذلك بذكر معاني بعض حروفها وفقراتها على الطريقة المستعملة في الكلمات المتقاطعة، ونورد فيما يلي مثالين لهذه الطريقة كي يتضح المقصود:

قال أحدهم في (سمرقند):

وما اسم سداسي إذا ما لمحته

ترى فيه أجزاء تذم وتشكر

له ثلث يأتي به الموت فجأة

وثلث مع الكتاب يطوى وينشر

وثلث –رعاك الله يا صاحبي– له

على مدد الأيام نشر معطر

وفي نصفه لما تحرك بعضه

حديث شهى في الليالي يذكر

وفي نصفه الثاني إذا ما أعدته

إلى النار للتحليل والعقد سكر

والثلث الأول: سم، والثاني: رقم، والثالث: ند، والنصف الأول، سمر، والنصف الثاني، قند.

وقال الآخر في (قدس):

ما بلدة أولها سورة

بل جبل صعب بعيد المنال

وما سوى آخرها قد غدا

اسماً وفعلاً وهو حرف يقال

وقلبه فعل، واسم لما

يصير منه الجسم مثل الخلال

السورة والجبل: ق. وما سوى آخرها: قد – اسم –، وقد – فعل –، وقد – حرف –، وقلبه: دق – فعل –، ودق – اسم مرض –.

[موسوعة الشيخ محمد حسن آل ياسين]

مجلة العلم

المؤسس:

هو العلامة السيد هبة الدين محمد علي الحسيني الشهرستاني، المولود في مدينة سامراء سنة ١٨٨٤م، والذي عاصر اهم الأحداث والتغيرات الحاصلة في المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والمتمثلة في ضعف الدولة العثمانية آنذاك وتقدم دول الاستعمار الأوربي في المنطقة، فأحدث هذا الأمر الكثير من التغيرات، فكانت الفرصة سانحة لأصحاب الاصلاح والتغيير وعلى رأسهم السيد هبة الدين الشهرستاني لإصدار مجلة العلم في النجف عام ١٩١٠م، فكانت أول مجلة عربية من نوعها في العراق، وشكلت منبراً تنويرياً ساهم في تكوين النخب الثقافية وقادة الرأي والسياسة البارزين في تلك الحقبة كالشيخ محمد رضا الشبيبي وعلي الشرقي وغيرهما.

تاريخ الصدور ومكانه:

صدرت في النجف الاشرف – في عام (١٩١٠م – ١٣٢٨هـ)، ثم توقفت عن الصدور بعد سنتين من العمر، وجدد السيد الشهرستاني إجازتها في عام ١٩٥٤م وصدر العدد الاول من سنتها الثالثة في مدينة الكاظمية، ثم ألغي امتيازها بصدور قانون المطبوعات لسنة ١٩٥٤م.

نبذة عن المجلة:

وكان العلامة السيد محمد علي الشهرستاني احد أقطاب الصحوة الإسلامية في العراق، ومن انصار المصلح الكبير الإمام الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني، وفي خضم الوضع الراهن المضطرب أصدر السيد الشهرستاني (مجلة العلم) في مدينة النجف الاشرف بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، لتكون لسان حال الطبقة الإسلامية الواعية في وقت عم الظلام العالم الإسلامي، وقد طرز اعداد المجلة ببيتين من الشعر هما:

العلم انفس شيء أنت ذاخره

ومن يدرس العلم لم تدرس مفاخره

اقبل على العلم واستقبل مباحثه

فأول العلم اقبال وآخره

وقد حمل كل بيت لفظة «العلم» مرتين، وهذا

ما يعطي للمجلة صفة العلم كما يوحي إلى ذلك اسمها، وقد كتب في العدد الاول من المجلة مقطوعة منها: «والامل من حملة العلم وحماة الدين، ومن يشاركنا في الغاية والغرض ان يسعى في نشر هذه الصحيفة ويساعدنا بفيض يراعه ويجد ما يتمناه من غرس اصول الدين والعلم في اراضي القلوب وتكميل الافكار واصلاح الشعوب وفك مقاليد المضرة من عقولهم».

وقد كشفت هذه المقطوعة عن منهجية المجلة وأهدافها العلمية بما يتناسب مع خطة الاصلاح التي حملتها حركة الدستور في النجف الاشرف والتي تعرف باسم (المشروطة) وذكر الاستاذ فائق بطي في كتابه (صحافة العراق): (ان مجلة العلم قد عدها النقاد والشعراء انذاك من ارقى المجلات العلمية والفلسفية).

ولكن ما يبدو ان الحملة الضارية التي شنها المناهضون للاصلاح ادت الى ايقاف التيار الاصلاحي، وعند ذلك توقفت مجلة العلم عن الصدور، وقد اراد العلامة السيد الشهرستاني استئناف صدور عام ١٩٥٤م، بعد انقطاع ثلاث واربعين سنة، فأصدر عدداً واحداً ثم توقفت المجلة بسبب قانون المطبوعات.

العلم

مجلة تخدم العلم والدين

كما ان الباحث المتفحص في اعداد مجلة العلم يجد فيها اراء جريئة داعية للاصلاح والوحدة، والاطلاع على مستجدات العلم والحضارة في العالم، ومسايرة الشعوب الاسلامية الداعية للتجديد، وقد اشار الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء إلى تاريخ صدور المجلة بقوله:

(هبة الدين) اتانا بعلوم مستفيضة

وله التاريخ (أهدي طلب العلم فريضة)

سؤال وجواب

آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

سؤال: ينبهر بعض المثقفين في مجتمعاتنا بكثير من النظريات الغربية في الثقافة والفكر والأدب إلى درجة أنهم يتبنون هذا الاتجاه في حياتهم بينما يتجاهلون نوعا ما منابع الثقافة والفكر الأصيل في تراثنا الإسلامي العظيم، وإذا خاطبهم المؤمنون في هذا الشأن يكون ردهم فيه من التصنيف ما فيه، كما أنهم يكيلون التهم للمتدينين بالرجعية أو التقليدية، وهذا خلاف الواقع، فكلنا نعلم أن الحوزة العلمية ومدرسيها يحافظون على الدين الإسلامي ويدعون إلى الإطلاع على الفكر الآخر مع مقارنته بالمنهج الإسلامي وإثبات الحق وإبطال الباطل.. ما رأي سماحتكم في أمثال هؤلاء المثقفين؟ وبما تنصح المؤمنين لمواجهتهم؟

الجواب: منشأ ذلك أمور:

الأول: عدم اطلاع هؤلاء على التراث الإسلامي وثقافته.

الثاني: رؤيتهم تقدم الغرب في الثقافة والتقاليد.

الثالث: تأثير الإعلام المضلل على الإسلام والمسلمين.

أما وظيفة المؤمنين في المواجهة معهم فلا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وبكلام طيب وحسن مع طلاقة الوجه، فإن ذلك يورث المحبة ويؤثر فيهم وأما وظيفة العلماء مع هؤلاء فهي الإرشاد إلى الدين الإسلامي الوحيد الذي يحل مشاكل الإنسان الكبرى ويزوده بالطاقة النفسية الكبيرة والملكات الفاضلة والأخلاق الحميدة على أساس أن للثقافة الإسلامية التي هي عبارة عن الوظائف الإلهية العملية دوراً كبيراً في تربية الإنسان؛ لأنها تجهز الإنسان بغريزة الدين وتزود إيمانه بالله وحده لا شريك له وهذا الإيمان يهذب سلوك الإنسان في الخارج في كافة الاتجاهات: الفردية والاجتماعية والعائلية والاقتصادية والثقافية وهكذا، بينما الثقافة المبتذلة في الغرب تجهز الإنسان بالغرائز الحيوانية والشهوات النفسانية تسقطه عن القيم والمثل الإنسانية، نعم، على شبابنا الذين يهاجرون إلى الغرب للدراسة العليا الاهتمام الجاد والسعي الحثيث بتزويد أنفسهم بالتقنيات العالية والتكنولوجيا المتقدمة في الطب والهندسة وعلم الفضاء والاقتصاد، وهكذا مع اهتمامهم بالحفاظ على تقاليدهم الإسلامية وثقافتهم الإنسانية حتى إذا رجعوا إلى بلدانهم قدموا لها خدمة علمية وتقنية عالية كل في مجال اختصاصه لتطويرها خطوة فخطوة لكي يصبح مجتمعهم فيها من المجتمعات المتقدمة.

[كتاب مائة سؤال وسؤال]

فلكيات..

الحلقة الأولى

اقتران الشمس بالقمر

المهندس محمد علي الصائغ

أطوار القمر:

هي مراحل ظهوره لنا، والجزء المضيء من القمر يتغير من يوم لآخر، يتدرّج من الخيط الرفيع حتى يكتمل بدرًا، ثم يتناقص حتى يعود خيطًا رفيعًا، ثم يختفي تحت شعاع الشمس، فلا نراه، ثم يقترن مع الشمس ولا يُرى إلا بعد أن يخرج من تحت شعاع الشمس فيُرى هلالا ضعيفًا، ورؤيته لأول مرّة بعد غروب الشمس تمثّل انصرام شهر قمري وبدء الليلة الأولى للشهر القمري الجديد..

وحيث إن القمر هو أسرع الكواكب حركة بالنسبة للأرض؛ لأنه يقطع كل يوم حوالى ١٣ درجة من فلك البروج، بينما تقطع الشمس بحركتها الظاهرية كل يوم درجة تقريبًا، فهو يتقدّم عليها كل يوم ١٢ درجة أي بمعدل درجة كل ساعتين، أي يكمل دورة كاملة (٣٦٠ درجة) بين البروج في مدة ٢٧ يومًا ونصف اليوم، بينما تكمل الشمس دورتها بين البروج في سنة كاملة أو تقطع برجًا في كل شهر، بينما يقطع القمر كل برج في يومين ونصف اليوم.

فإذا بَعُد القمر عن الشمس من المغرب لجهة الشرق اثنتي عشرة درجة تقريبًا مال إلينا بعض نصفه المضيء، إذ تبدو لنا حافّة النصف المضيء أو حافة القمر المضيء بسبب الشمس، فنرى طرفًا منه بعد غروب الشمس وهو الهلال، وكلما زاد بُعده عن الشمس ازداد ميل نصفه المضيء إلينا، حتى الليلة الرابعة حتى يكون قوس النور قد تضخّم فيسمى قمرًا، إلى ليلة ١٤ فيسمى بدرًا فيها وفي الليلة التالية لها.

يطلع «البدر» من الشرق عند أو بعد غروب الشمس، وفي ليلة ١٦ إلى ليلة ٢٦ يسمى «قمرًا» وفي ليلة ٢٧ إلى وقت دخوله تحت شعاع الشمس يسمى «هلالا»، ويكون طلوعه من جهة المشرق قبل طلوع الشمس، فإذا دخل تحت شعاع الشمس بأن كان بينهما أقل من ١٢ درجة سمي «محاقًا» لانحجابه بنور الشمس، فإذا اجتمع مع الشمس سمي «اقترانًا» أو اجتماعًا، فإذا خرج من شعاعها بأن بعُدَ عنها لجهة المشرق بقدر ١٢

درجة تقريبًا رُؤيَ هلالاً عشية.

تسلسل لمظاهر القمر:

وفيما يلي تسلسل لمظاهر القمر وأحواله واحدًا بعد واحد على الترتيب مع توالي أيام الشهر:

١. عندما يكون القمر على خطٍّ مستقيم بين الأرض والشمس، فإننا لا نراه؛ حيث إن وجهه المقابل لنا لا يكون مضيئًا، أما ظهره فيكون نورًا ونهارًا من أشعة الشمس الساقطة عليه، وهذا ما نسمّيه الاقتران أو آخر الشهر، يشرق القمر في هذا الوقت (حسب ميله) في نفس الوقت تقريبًا مع الشمس ويغرب معها.

٢. ثم في الليلة التالية تبدأ الشمس بالشروق على وجه القمر المقابل لنا، ويبزغ الفجر في ذلك النصف من القمر؛ حيث إن القمر يكون قد استدار قليلاً حول محوره أثناء بداية طوافه من النقطة السابقة حول الأرض، فيضاء جزء بسيط من ذلك النصف ويبدو لسكان الأرض في هيئة الهلال في أول الشهر.

٣. وفي كل ليلة خلال الأسبوع الأول من الشهر تزيد المنطقة المضاءة لوجه القمر المقابل للأرض وينمو الهلال ويمتلئ، ويكون هذا بمثابة الضحى على سطح القمر.

٤. وعند نهاية الأسبوع الأول يمكننا أن نرى نصف وجه القمر المقابل لنا كله مضاءً، وهذا هو التربيع الأول، وذلك بعد أن يكون قد وصل إلى الربع الشرقي.

٥. ثم يغمر الضوء جزءًا أكبر فأكبر من وجه القمر المقابل لنا، فنرى الصورة التي نسمّيها الأحدب حتى نصل إلى نهاية الأسبوع الثاني من الشهر، فيكون سطحه المرئي كله مضاء، وهذا هو البدر، وهو يمثّل وقت الظهيرة تمامًا من يوم القمر على سطحه المواجه للأرض، ويعبر القمر الزوال كبدر عند منتصف الليل بالتوقيت المحلي الحقيقي، فيكون آنئذٍ قد انتقل في دورته حول الأرض من جانبها الغربي إلى جانبها الشرقي.

٦. وبعد ٧ أيام نرى خلالها مظهر الأحدب ثانيًا بعد أن يكون القمر قد تحرّك حتى الربع الغربي أي أكثر من تسعين درجة من الاستقبال (حالة البدر)، تكون الشمس يوم القمر قد مالت للمغيب ونهاره قد بدأ يتناقص، فنرى نصف وجهه فقط مضاءً وهو يقابل وقت الأصيل على وجه القمر المقابل للأرض.

٧. ثم يأخذ نهار القمر في الانتهاء وتأخذ شمسه في الغروب فيراه سكان الأرض هلالاً ثانيًا، ولكن فجرًا، حتى يأتيه المحاق تمامًا في الليلة الأخيرة من الشهر، وهي تقابل على سطحه المواجه للأرض لمنتصف الليل هناك.

وهكذا تتعاقب أوجه القمر شهرًا بعد شهر ويتأخر شروق المظاهر المتعاقبة في كل ليلة عن سابقتها حوالى ٤٥ دقيقة حتى نهاية الشهر.

اقتران الشمس بالقمر

الاقتران بين الشمس والقمر أو الاجتماع،

يحدث مرة في كل شهر قمري، وموعده قرب نهاية الشهر القديم وقرب ابتداء الشهر الجديد، إذ من المعلوم أن القمر بعد إهلاله يبدأ بالابتعاد عن الشمس إلى جهة الشرق، حتى إذا انتصف الشهر وصار على أكبر قدر من البعد عنها بدأ بعد ذلك بالاقتراب منها مرة أخرى من الجهة المعاكسة، وعند دخوله أقرب ما يكون منها بحيث يكونان على خط طول واحد يقال إن القمر في الاقتران أو الاجتماع، فيكون مركز القمر ومركز الشمس على خط طول سماوي واحد بالنسبة لراصد في مركز الأرض والتي تسمى في الفلك الحديث (New Moon) أو الهلال الجديد وهو الاقتران المركزي، ولا يستغرق الاقتران -وهو عبور قرص القمر أمام قرص الشمس- بالنسبة لراصد في مكان ما على سطح الأرض أكثر من ٧ دقائق و٥٨ ثانية. ويحدث ذلك في أية لحظة من الليل أو النهار، إذ لا علاقة للموقع الجغرافي في ذلك.

وقت الاقتران: يحدث الاقتران في لحظة واحدة من الزمان؛ لأنه ظاهرة كونيّة لا علاقة لموقع الراصد بها كما قلنا سابقًا مثلاً: إن حدوث الاقتران الساعة ٤ من صباح يوم الاثنين بتوقيت كرينتش يعني أنه حدث الساعة ٦ صباحًا بتوقيت (بيروت) والساعة ٨ صباحاً بتوقيت (أبو ظبي) والساعة ١٣ (الواحدة ظهرًا في اليابان)، ويعني أيضًا أنه حدث الساعة ٢٢ (العاشرة من مساء يوم الأحد في ديترويت) أي في اليوم السابق بحسب التوقيت المحلّي لشرق الولايات المتحدة الأمريكية.

إن القول بأن الاقتران يحدث في لحظة واحدة، مبني على اعتبار أن الأرض والقمر والشمس هي نقاط في السماء، ولذا فمن المناسب تسميته بالاقتران المركزي، ولتحرّي الدقّة فإن هذه الأجرام تُرى كأقراص، وبناء عليه فإن الراصدين على الأرض في الأماكن المختلفة لن يروا مركزي الشمس والقمر بنفس خط الطول السماوي في نفس اللحظة، وهذا يبدو جليًا من خلال كسوف الشمس الكلي الذي يمكن اعتباره «اقترانًا مرئيًا»، ومعلوم أن كسوف الشمس الكلي لا يبدأ بنفس اللحظة بالنسبة لسكان الأرض جميعًا، وبالتالي لا يحصل الاقتران في لحظة واحدة، وأقرب مثال على هذا الموضوع الكسوف الكلي الذي حدث ١١/ ٨/ ١٩٩٩م، فإنه شوهد بدءًا من المحيط الأطلسي وأوربا فآسيا مرورًا بسوريا والعراق وإيران وباكستان فالهند، وذلك أغلب النهار وعلى التتابع، ولم يحدث في لحظة واحدة.

وهذه النقطة تستحق التوقّف، فهي مهمّة للغاية،؛لأن معناه أن الاقتران السطحي (المرصود من سطح الأرض Topocentric) لا يحدث في وقت واحد بل في أوقات متفاوتة قد يصل الفرق بينها إلى عدة ساعات؛ وذلك بالنسبة للأماكن المختلفة من الأرض أسوة بالكسوف الكلي.

بنت الخلود

للسيد محمّد جمال الهاشمي

في مدح سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

شعَّت فلا الشمس تحكيها ولا القمرُ ... زهـراءُ من نورها الأكـوانُ تزدهرُ
بنتُ الخلود لها الأجيال خاشعةٌ ... أمّ الزمان إليها تنتمي العُصُرُ
روحُ الحياة، فلولا لطفُ عنصرها ... لم تأتلف بيننا الأرواحُ والصورُ
سمت عن الأفق، لا روح ولا ملَكٌ ... وفاقت الأرض، لا جنٌّ ولا بشرُ
مجبولةٌ من جلال الله طينتُها ... يرفُّ لُطفاً عليها الصونُ والخَفرُ
ما عابَ مفخَرها التأنيث أنَّ بها ... على الرجال نساءُ الأرض تفتخرُ
خِصالها الغرُّ جلّت ان تلوكَ بها ... منّا المقاولُ أو تدنو لها الفكرُ
معنى النبوة، سرُّ الوحي، قد نزلتْ ... في بيتِ عصمتها الآياتُ والسورُ
حوت خِلال رسول الله أجمعَها ... لولا الرسالةُ ساوى أصله الثمرُ
تدرّجت في مراقي الحقّ عارجةً ... لمشرق النور حيث السرُّ مستترُ
ثم انثنت تملأ الدنيا معارفُها ... تطوى القرون عياءً وهي تنتشرُ
قل للذي راح يُخفي فضلها حسداً ... وجه الحقيقة عنّا كيف ينسترُ
أتقرن النورَ بالظلماء من سفهٍ ... ما أنتَ في القول إلّا كاذب أشِرُ
بنتُ النبي الذي لولا هدايتُه ... ما كان للحقّ، لا عينٌ ولا أثرُ
هي التي ورثت حقاً مفاخره ... والعطر فيه الذي في الورد مدَّخرُ
في عيد ميلادها الأملاكُ حافلةٌ ... والحور في الجنة العليا لها سمرُ
تزوجتْ في السماء بالمرتضى شرفاً ... والشمس يقرُنها في الرتبة القمرُ
على النبوّة أضفت في مراتبها ... فضل الولاية لا تبقى ولا تذرُ
أُمّ الأئمة مَن طوعاً لرغبتهم ... يعلو القضاءُ بنا أو ينزل القدرُ
قف يا يراعي عن مدح البتول ففي ... مديحها تهتف الألواحُ والزبرُ
وارجع لنستخبر التأريخ عن نبأ ... قد فاجأتنا به الأنباء والسيرُ
هل أسقط القوم ضرباً حملَها فهوت ... تأنُّ ممّا بها والضلعُ منكسرُ

وهل كما قيل قادوا بعلّها فعدت
وراه نادبةً والدمع منهمرُ
ان كان حقاً فإنّ القوم قد مرقوا
عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا

جفِّفِيْ أَدمُعِي

السيد عبدالهادي الحكيم

في ميلاد الإمام الحسين عليه السلام

جفِّفِيْ أَدمُعِي وَكُفِّي شؤوني
وَاغْسِلِيْ السُّهْدَ وَالضَّنَى عَن عُيُونِي
وَأَحِيْلِيْ نَارَ الفَوَاجِعِ بَرداً
وَسَلاماً عَلَى فُؤَادِي الحَزِينِ
انْثُرِي الوَرْدَ فَوقَ جَبْهَتِيَ التَّعْبَى
وَرُشِّيْ الطِّيُوبَ بَيْنَ الغُضُونِ
وَازْرَعِي الدِّفءَ وَالمحبَّةَ وَالبَسْمَةَ
فَوْقَ اللّظَى وَفَوْقَ الشُّجُونِ
طَرِّزِي الدَّرْبَ بِالرَّياحِينِ والآسِ
المُندَّى وَالفِلِّ وَالنِّسرِينِ
وَامْلَئِي لِيْ السِّلالَ بِالمَنِّ وَالسَّلْوَى
كَفَانِيْ (والتِّينِ وَالزيتُونِ)
لاَ تَقُولِي مَاذَا دَهَاكَ فَوَدَّعْتَ
دُمُوعَ الأَسَى وَشَجْوَ الأَنِينِ
وَتَعالَيْ نُفَضِّضُ السَحَرَ الهاني
بِعِشْقٍ مُعتَّقٍ مَجْنُونِ
طَوِّقِي الجِيدَ بِالجَوْاهِرِ والمَاسِ
وَشُقِّي اليَاقُوتَ بِالتَّلْحِينِ
بِالزَّغارِيدِ، بِالتَّراتِيلِ، بِالهَمْسِ
المُوَشَّى، بِغُنَّةِ التَّنْوِينِ
انْثُرِي لِيْ حَرِيرَ شَعْرِك شَلاَّلاً
مِنَ المِسْكِ مُفْعَماً بِالحَنِينِ
وَتَعالَيْ مَعِيْ لِيشرب جَذْلى
تَتَهَادَيْنَ بَيْنَ حُورٍ وَعِينِ
لِعلِيٍّ، لِفاطِمٍ، لأَخِيهِ الحَسَنِ
السِّبْطِ، بَلْ لِطه الأَمِينِ
لِبنيهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ، لِلْقَائِمِ
مُحْيِي الهُدَى وَحَامِي الدِّينِ
لاَ تَقولِي مَاذَا دَهَاكَ، تَعالَيْ
خَلَعَ القَلْبُ كُلَّ حُزْنٍ دَفِينِ
وَدَعِيني.. دَعِي الوُجُومَ، فَهذا
يَوْمُ مِيلادِ مَن أُحِبَّ.. دَعِيني
جُنَّ قَيْسٌ وَالعَاشِقُونَ بِلَيْلَى
وَبِحُبِّ الحُسَينِ جُنَّ جُنونِي

الأخيرة...

يا نفس:

احزمي أمرك فما لك بضاعةٌ إلا عمرُك، فلا تفنيه في مآرِبك ولذّاتك ومطالبك؛ لأنه إذا فني رأس المال حصلت الخسارة، ووقع اليأس عن التجارة.

شعر:

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً ... بأن جميعَ حياتي كساعَهْ

فلِمَ لا أكون ضنيناً بها ... واجعلها في صلاح وطاعَهْ

يا نفس:

إن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعَهْ، فاشتغلي فيها بالطاعَهْ. فقد ورد في الخبر، عن سيد البشر: أنه ينشر للعبد كلّ يومٍ أربعٌ وعشرون خزانهْ، بعضها فارغةٌ وبعضها ملآنهْ:

فإذا فتحت له خزانة الحسنات، والمراضي والمثوبات، وناله من الفرح والسرور، والبهجة والحبور، بمشاهدة تلك الأنوار، التي هي وسيلةٌ عند الملك الجبار، ما لو وُزع على أهل النار، لأدهشهم ذلك الفرح عن ألم السُعار.

وإن فُتحت له خزانةُ العصيان، والغيبة والبهتان، وغشاه من نتنها وظلامها، وأصابه من شرها وآلامها، ما لو قسم على أهل النعيم، لنغصَ عليهم التنعيم.

وإن فتحت الفارغةُ من الأعمال، الموصوفةُ بالتكاسل والإهمال، لحقه الحزن العظيم، على خُلوِّها من الثواب الدائم المقيم.

محاسبة النفس اللوامة/ الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي